www.quranonlinelibrary.com

سلسلة رسائل علمية

الفرح في القرآن الكريم

دوافعه النفسية وآثاره السلوكية

تأليف

يوسف علي حسن بدر

دار الطاهرية

www.Quranonlinelibrary.com

الفرح في القرآن الكريم

دوافعه النفسية وآثاره السلوكية

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢ م
©جميع الحقوق محفوظة
رقم الإيداع في مكتبة الكويت الوطنية: 2540-2021
ردمك: 978-9921-770-88-9

الكويت- الجهراء- القيصرية القديمة- كابيتول مول- السرداب محل ٢٤
الموقع الإلكتروني: www .daradahriah .com
البريد الإلكتروني: daradahriah@gmail .com
هاتف: 99627333 965+ - 51155398 965+

الموزعون المعتمدون

الكويت: دار اندلسية للنشر والتوزيع - darandalusia@hotmail.com - (+965) 94747176
الكويت: مركز طروس للنشر والتوزيع - torousq&@gmail.com - (+965) 90090146
الرياض: دار التدمرية للنشر والتوزيع - tadmoria@hotmail.com - (+966) 114925192
المدينة المنورة: مكتبة الميمنة المدنية - daralmimna@gmail.com - (+966) 558343947
جدة: مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع - hassan_hyge@hotmail.com - (+966) 504395716
مكة المكرمة: المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع - alasadi2000@hotmail.com - (+966) 125273037
مصر الجديدة: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع - mofakroun@gmail.com - (+2) 01110117447
اسطنبول (منطقة الفاتح): دار الأصالة - asalet@asaletyayinlari.com.tr - (+90) 2125118547

لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو واسطة -أو أي جزء منه-، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي) أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من دار الظاهرية للنشر والتوزيع.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفرح في القرآن الكريم

دوافعه النفسية وآثاره السلوكية

تأليف

يوسف علي حسن بدر

أصل هذا البحث رسالة ماجستير ٢٠١٤م

دار الظاهرية للنشر والتوزيع

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى «السعيدة» وهي تصارع في كل اتجاه لتحافظ على وصفها الموغل في التاريخ.

إلى أرض الإيمان والحكمة وهي تُظهر إيمان أهلها وحكمتهم في مواجهة الكيد الكُبّار.

وأرجو الله بفضله أن يعيد لها سعادتها ولأهلها طمأنينتهم.

من خاطر اليمن الخضرا ومهجتها هذي الأغاريد والأصداء والفِكَرُ

يا أميَ اليمـــــنَ الخضرا وفاتنتي منكِ الفتونُ ومني العشقُ والسهرُ[1]

(١) ديوان عبد الله البردوني رحمه الله. الأعمال الشعرية (ج١/ ص٥٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كلمة شكر

أحمد الله سبحانه على توفيقه لاختيار هذا البحث وإتمامه البحث، وأشكر أمي وأبي حفظهما الله؛ فكل خير أنا فيه هما سببه، وأسأل الله أن يجمعني بهما ويوفقني لبرهما.

كما أشكر زوجتي أم عمرو التي صبرت على انقطاعي للبحث، وبذلت ولا تزال في تربية أولادي وملء الفراغ الذي أتركه حيالهم بالعناية بهم.

وأشكر أستاذي الدكتور علي عبد الرحمن باعلوي -رحمة الله تغشاه- على إشرافه على رسالتي التي هي أصل هذا الكتاب، فقد كان معلما ناصحا، ومربيا قديرا، أسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته.

كما أشكر كل من أعانني في طريق البحث وأخص منهم أخي الغالي الدكتور جميل المليكي وأخي خلدون السامعي.

كتب الله أجر الجميع..

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل التمهيدي

*** المقدمة:**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن المناهج الموجودة في الأرض اليوم لا تكاد تعد ولا تحصى، وكلها مناهج تدّعي قدرتها على إسعاد الإنسان وحل مشكلاته.

غير أنه لا يوجد فيها منهج يدعي أنه من عند خالق هذا الإنسان -ويستطيع إثبات ذلك- إلا منهج الإسلام من خلال القرآن الكريم.

كما أن الله عز وجل خلق الإنسان وهو أعلم به وبحاجته، قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[الملك:١٤]، وقد قصر هداية الناس عليه، فلا ينالونها إلا منه سبحانه، قال عز وجل: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴾ [الليل:١٢]، فالهدى عليه سبحانه وحده، ومنه وحده.. ولا تكون الهداية إلا بإحاطتها بجميع حاجات الناس في جميع المجالات الإنسانية، والتي من أهمها المجال النفسي والمجال السلوكي.

ومعلوم أن الدراسات النفسية والاجتماعية -على تنوعها- تواجه عوائق وصعوبات تحول دون التطبيق الشامل للمنهج العلمي فيها، على خطورة شأنها وأهميتها البالغة؛ ذلك أنها تتعلق بالإنسان مباشرة، هذا المخلوق المستخلف في الأرض ليعمرها على مراد الخالق سبحانه وتعالى.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ومعرفة أسرار النفس الإنسانية من أهم العلوم؛

١- لتقويمها وتوجيهها التوجيه الصحيح.

٢- وحماية الإنسان من الإنسان غير السويّ.

ومن الانفعالات النفسية التي لا تفارق الإنسان، إما أن يعيشها وإما أن يسعى إلى أن يعيشها: **الفـــــرح**، وهي من الأهمية بمكان؛ حيث إن الفرح لا يوجد إلا بمتغيرات مؤثرة، وهذه المتغيرات تختلف من شخص لآخر.

*** موضوع البحث ومبرراته:**

اخترت هذا الموضوع؛ لأني رأيت الناس جميعا يسعون إلى تحقيق السعادة والفرح والسرور، ويفرون من الهم والحزن والتعاسة.

ولأن الحياة ستكون أكثر ملاءمة وهدوءاً وسعادة إذا أعطى الإنسان للأشياء التي يفرح بوجودها ويحزن على فقدها حجمَها المناسبَ؛ فإن كثيرا مما يظن بعض الناس أن الفرح يتحقق بالحصول عليه؛ يعيش بدونه أناس آخرون وهم سعداء.

كما أن التوازن في هذا الموضوع يُكسب المجتمع آثاراً إيجابية يولدها الفرح المحمود، ويخلصه من الآثار السلبية التي يفرزها الفرح المذموم.

*** أسئلة البحث وأهدافه:**

يمكن صياغة موضوع البحث بالسؤال التالي:

ما هو الفرح؟ وما دوافعه النفسية وآثاره السلوكية في القرآن الكريم؟

وتتفرع عنه الأسئلة الآتية:

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

س١: ما الفرح المحمود؟ وما هي دوافعه النفسية؟ وما آثاره السلوكية في القرآن؟

س٢: ما الفرح المذموم؟ وما هي دوافعه النفسية؟ وما آثاره السلوكية في القرآن؟

س٣: ما الفرح المباح؟ وما هي دوافعه النفسية؟ وما آثاره السلوكية في القرآن؟

والأجوبة عنها هي أهداف البحث.

*** أهمية البحث:**

وتكمن أهمية الموضوع من حيث إنه يدرس ظاهرة نفسية من خلال الآيات التي تناولت هذه الظاهرة، ويستند إليها استناداً كليًّا؛ لأنها كلام الحق سبحانه وتعالى خالق هذه النفوس القائل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء:٨٥].

ودراسة هذا الموضوع -من خلال الآيات القرآنية- سيساعد في تجاوز الكثير من «العوائق والصعوبات التي تواجهها الدراسات النفسية والاجتماعية، مثل:

١- تعقيد الظواهر الاجتماعية؛ لأنها تدرس الإنسان والسلوك الإنساني، والذي يتأثر بالعديد من العوامل النفسية والمزاجية، فلا يوجد شخصان متشابهان تماماً، ولكن هذا لا يعني أنهما مختلفان تماماً.

٢- عدم القدرة على استخدام الطريقة المخبرية، وهي صعوبة وضع الظواهر الاجتماعية تحت ظروف الضبط والرقابة التامة، أو إجرائها داخل المختبرات.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣- فقدان التجانس بين الظواهر الاجتماعية والإنسانية وتباينها: حيث يوجد للظواهر شخصيتها المنفردة -خاصة في الظواهر الإرادية- ومن الصعوبة تجريد العوامل الإنسانية للوصول إلى قانون عام.

٤- صعوبة دراسة الظواهر الإنسانية بموضوعية تامة بعيدا عن العواطف الشخصية، مما يحد من عمومية وشرعية نتائج البحوث في هذا المجال؛ لأن من يدرسها هو الإنسان أيضا، وهو جزء من المادة التي يلاحظها»[١].

فدراسة ظاهرة الفرح ومرادفاته من خلال كتاب الله سبحانه وتعالى يعني تجاوز العوائق والعقبات التي تواجه الدراسات النفسية، والوصول إلى نتائج يمكن الاستفادة منها في التربية والتوجيه.

كما أن هذا الموضوع لم أر -في حدود معرفتي المتواضعة جدا - من اعتنى به ودرسه دراسة علمية تعطيه حقه من العناية والتركيز، اللهم إلا مقالات وخطباً غير مستوعبة.

*** حدود الدراسة:**

اقتصرت الدراسة على استقراء الآيات القرآنية التي تتحدث عن الفرح والكلمات المرادفة أو المكافئة له، وما يفسرها من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن كتب التفسير، وكتب علم النفس.

*** منهج البحث:**

دراسة ظاهرة الفرح في القرآن الكريم، والمتغيرات المؤثرة في وجودها أو انعدامها؛ يناسبها المنهج الاستنباطي من خلال:

(١) أساليب البحث العلمي. د.فايز النجار وآخرون (ص ١١، ١٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- جمع الآيات القرآنية التي تذكر الفرح وما يرادفه أو يكافئه من الكلمات.

٢- ثم استخراج عبارة النص أو إشارته لأي دافع أو أثر أو حكم، من خلال الرجوع إلى كتب التفسير.

٣- ثم تصنيف المادة العلمية وتوزيعها على مكونات الدراسة الأساسية المتمثلة في الفرح ومرادفاته، في ثلاثة محاور رئيسة:

الفرح المحمود: دوافعه النفسية وآثاره السلوكية.

الفرح المذموم: دوافعه النفسية وآثاره السلوكية.

الفرح الذي يدور بين المدح والذم؛ بحسب دوافعه وآثاره.

*** مصطلحات الدراسة:**

أ - الفرح:

هو السرور، ومن قائل: الفرح نقيض الحزن، وقال ثعلب: هو أن يجد في قلبه خفة.. وقال البغوي: الفرح: لذة في القلب بنيل المشتهى، ومثله قال الجرجاني في تعريفاته.. وقال الراغب الأصفهاني: الفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة.. فالفرح عند البغوي والجرجاني هو اللذة، وعند ثعلب والراغب أثر اللذة من الخفة أو انشراح الصدر.

يقال: فَرِحَ فهو فَرِحٌ وفَروحٌ ومَفْروحٌ وفارِح وفرحان، وهم فَراحَى وفَرْحَى، وامرأة فرِحة وفرْحى وفرحانة، وفارِحة. والمفراح: الكثير الفرح، والفُرحة -بالضم- المسرة، ويفتح[1].

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص ٦٢٨-٦٢٩)، معالم التنزيل. الإمام البغوي (ج٢/ ص٤٤١- ج٣/ ص٢٠)، لسان العرب (ج١١/ ص١٤٧- ١٤٨)، القاموس المحيط (ص٢٩٨)،كتاب التعريفات.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والفرح في القرآن الكريم يأتي على ثلاثة أوجه حسب تقسيم يحيى بن سلام[١] رحمه الله:

الوجه الأول: معناه المتبادر إلى الذهن، وهو الذي قال عنه يحيى بن سلام رحمه الله: «هو الفرح بعينه»، وذكر له العلماء تعريفات مختلفة؛ يرجع تنوعها إلى اختلاف نظر العلماء في أسبابه أو آثاره، غير أنها جميعاً تدور حول السرور والابتهاج، كما سبق قبل أسطر.

وذكر الراغب الأصفهاني أن أكثر ما يطلق الفرح في القرآن على اللذات البدنية الدنيوية[٢].

الوجه الثاني: الفرح بمعنى البطر والمرح والأشر، فيقال لمن استخفته النعمة، وصاحب الكليات -وهو يذكر التقارب بين معاني الفرح والسرور والحبور- يخص الفرح بما يورث أشراً أو بطراً؛ واستدل لذلك بأنه كثيراً ما يُذَمّ.

بينما يستعمل السرور والحبور في الفرح المحمود، قال الله تعالى حكاية عن قوم قارون: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾[القصص: ٧٦] يعني: لا تبطر ولا تمرح؛ إن الله لا يحب البطرين المرحين[٣]. غير أن القرآن لم يخصه به فقد قال

للجرجاني (ص٢٤٤)، المعجم الوسيط (ص٦٧٩).

(١) هو يحيى بن سلام البصري. قال الحافظ: حدث بالمغرب وتوفي بمصر بعد رجوعه من الحج لأربع بقين من صفر سنة مائتين، وقال أبو العرب في طبقات القيروان: كان مفسرا، وكان له قدر ومصنفات كثيرة في فنون العلم، وكان من الحفاظ ومن خيار خلق الله (لسان الميزان لابن حجر ٦/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٢) انظر: التصاريف. يحيى بن سلام (ص ٢٤٤)، المفردات (ص ٦٢٨-٦٢٩)، القاموس المحيط (ص٢٩٨)، لسان العرب (ج١١/ ص١٤٧- ١٤٨)، المعجم الوسيط (ص٦٧٩).

(٣) التصاريف. (ص٢٤٤) القاموس (ص٢٩٨)، اللسان (ج١١/ ص١٤٧- ١٤٨)، الكليات. لأبي البقاء الكفوي (ص ٥٠٨)، المعجم الوسيط (ص٦٧٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

سبحانه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس:٥٨].

الوجه الثالث: الفرح بمعنى الرضا، وذلك في مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الرعد:٢٦] يعني: ورضوا بالحياة الدنيا، ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾[الرعد:٢٦]، وكقوله في سورة الروم: ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ يقول: راضون، وكقوله في حم المؤمن: ﴿ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[غافر:٨٣] يعني: رضوا بما عندهم من العلم(١).

ب- كلمات مرادفة للفرح:

١- السرور: أصل السرور والمسرة: أطراف الرياحين، وسرّه: حياه بها.. والسُر والسراء والسرور والمسرة، كله: الفرح، يقال: سُررت برؤية فلان، وسرني لقاؤه، وقد سَررته أسُرُّه، أي: فرّحته.

وقال الجوهري: السرور خلاف الحزن(٢).

٢- الاستبشار: هو من البِشر، وهو الطلاقة.. واستبشر وتبشَّر وبَشِر: فرح، قال الفيومي: بَشِرَ بكذا: كـ«فرح»، وزناً ومعنى، وهو: الاستبشار أيضا.

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: الاستبشار: أن يمتلىء قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل.

(١) التصاريف (ص٢٤٤)، والمعجم الوسيط (ص٦٧٩).
(٢) انظر: الصحاح، للجوهري، (ج٤/ ص٨٠)، لسان العرب (ج٧/ ص١٦٩) والقاموس (ص ٥٢٠-٥٢١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقال ابن جرير: البشارة في كلام العرب، هي: إعلام الرجل بما لم يكن به عالما مما يسره من الخبر، قبل أن يسمعه من غيره، أو يعْلمه من قبل غيره.

وقال الحافظ ابن حجر: والبشير هو الذي يخبر المرء بما يسره من خير، وقد يطلق في الشر مجازا[١].

٣- **الضحك**: معروف، وإنما ألحقته بهذا المبحث؛ لأنه -في العادة- من آثار الفرح.

٤- **السعادة**: هي خلاف الشقاوة، وقد سعد يسعد سعدا وسعادة، فهو سعيد: نقيض شقي.. وسَعُد -بالضم- فهو مسعود، والجمع سعداء، والأنثى بالهاء.. وإذا قيل: أسعد الله العبد وسعّده؛ فمعناه: وفقه الله لما يرضيه عنه فيسعد بذلك سعادة[٢].

٥- **انشراح الصدر**: يقال: شرح الله صدر فلان لقبول الخير، يشرحه شرْحا فانشرح: وسّعه لقبول الحق فاتسع، وفي التنزيل العزيز: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

وفي حديث الحسن، قال له عطاء: أكان الأنبياء يَشْرَحون إلى الدنيا مع علمهم بربهم؟ فقال له: نعم، إن لله تَرَائكَ في خلقه، أراد: كانوا ينبسطون إليها ويشرحون صدورهم ويرغبون في اقتنائها رغبة واسعة[٣].ا.هـ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (ج١/ ص٥٠٤)، الكشاف (ج٤/ ص١٠٢)، مدارك التنزيل (ص١٠٤٠)، لسان العرب (ج٢/ ص٩٠-٩١)، المصباح المنير (ص٣١)، فتح الباري (ج٦/ ص٤٧٢).

(٢) اللسان (ج٧/ ص١٨٥-١٨٦)، القاموس (ص ٣٦٨).

(٣) لسان العرب (ج٨/ ص٥٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولا شك أن منشرح الصدر يشعر بالفرح والسرور، بخلاف ضَيِّق الصدر، ولذا عرف الراغب الفرح بأنه: انشراح الصدر، كما سبق.

٦- **اللذة**: هي نقيض الألم، واحدة اللذات، وهي سبب الفرح، ولذا عرفه البغوي والجرجاني بأنه لذة، وعرفه الراغب الأصفهاني بأنه ناشئ عن اللذة، كما سبق.

بل إن العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى يجعل الفرح واللذة معنيان للمصلحة فيقول: المصلحة: لذة أو سببها، أو فرحة أو سببها[١].

٧- **الحياة الطيبة**: هي الحياة التي فيها لذة، قال المجد: طاب يطيب طاباً وطيبةً وتَطياباً: لذّ وزكا، وعزاه في اللسان لابن سِيدَه[٢].

٨- **قرة العين**: قال بعض أهل اللغة: إنّ « قرّت عينه «مأخوذ من القَرور، وهو الدمع البارد يخرج من الفرح.. قال الأصمعي: أبرد الله دمعته؛ لأن دمعة السرور باردة، وأقر الله عينه مشتق من القَرور وهو الماء البارد.

وقال أبو طالب: أقر الله عينه: أنام الله عينه، والمعنى: صادف سرورا يُذهب سهره فينام، وأنشد: «أقر به مواليك العيونا» أي: نامت عيونهم لمّا ظفروا بما أرادوا[٣].

٩- **المرح**: هو شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره.

---

(١) مختصر الفوائد في أحكام المقاصد، للعز بن عبد السلام (ص١٠٩)، لسان العرب (ج١٣/ ص ١٩٢).

(٢) لسان العرب (ج٩/ ص١٦٨)، القاموس المحيط (ص ١٤١).

(٣) لسان العرب (ج١٢/ ص٦٤) باختصار.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولذا يعرفونه بالتبختر والاختيال، وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء:٣٧] أي متبخترا مختالا.

أو بالأشر والبطر، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر:٧٥].

ويعرفه الطاهر بن عاشور بـ: شدة ازدهاء المرء وفرحه بحاله في عظمة الرزق.

وقد مرِح مرحاً ومِراحاً، ورجل مرِحٌ من قوم مرحى ومَراحى[١].

جـ- معاني: الدوافع، النفس، الأثر، السلوك:

١ - الدافع: أصل الدفع: الإزالة بقوة[٢].. والمراد به هنا: القوة الداخلية التي تثير السلوك تحريكا وتوجيها إلى غاية أو هدف يرضيه[٣].

٢ - النفسي:

أما النفس فقد قال أهل اللغة: هي في كلام العرب على ثلاثة أوجه:

أحدها: نفس الرُّوح التي بها الحياة.

وثانيها: نفس العقل التي يكون بها التمييز، قال الزجاج: وهي التي تفارقه إذا نام فلا يعقل بها، يتوفَّاها الله، كما قال جل وعز.

وثالثها: معنى النفس: حقيقةُ الشيء وجملته، أي: عين الشيء وكُنْهُه وجوهره، فيعبَّر بها عن الإنسان جميعه، يقال: قتل فلان نفسه.

(١) لسان العرب (ج١٤/ ص ٤٨)، القاموس (ص ٣٠٨)، التحريروالتنوير (ج١٥/ ص١٠٣).
(٢) لسان العرب (ج٥/ ص٢٧٤)
(٣) أصول علم النفس. د/ أحمد عزت راجح (ص ٨٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ولا يخفى أن المراد بالنفس في هذا البحث هو نفس الروح والحياة، التي اختلفوا فيها هل هي مرادفة للروح أو مغايرة له، وعرفها ابن القيم -على قول الجمهور بمرادفتها للروح- بأنها: «جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم»[١].

غير أن «النفسيّ» المضاف إليه «الدافع» عند علماء النفس يراد به اصطلاح عامّ:

أ- يشمل ما هو عقلي أو ذهني كالتفكير والتذكر.

ب- كما يشمل ما هو وجداني أو انفعالي كالشعور بالفرح أو الحزن أو الخوف[٢].

٣- **السلوك**: مصدر سلك طريقاً... والسلوك: نشاط يصدر عن دافع، ويهدف إلى غاية هي إرضاء ذلك الدافع.

فهو: كل ما يصدر عن الإنسان من استجابات مختلفة إزاء موقف يواجهه. ويقصد بالاستجابة: كل نشاط يثيره منبه أو مثير[٣].

الأثر: بقية الشيء، ما بقي من رسمه، والجمع آثار وأُثُور.. والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثّر في الشيء: ترك فيه أثراً[٤].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤٦٠-٤٦١)، الروح (ص٤٠٢، ٤٦٢)، وانظر مفردات الراغب (ص ٨١٨).

(٢) أصول علم النفس. (ص٢٥).

(٣) الدوافع النفسية. د/ مصطفى فهمي (ص١٥)، أصول علم النفس (ص٢١، ٢٧، ٢٩).

(٤) اللسان (١/ ٥٢) وانظر القاموس (ص ٤٣٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والمقصود هنا: ما يتركه الفرح من أثر على سلوك الإنسان، أي: الاستجابة السلوكية لدافع الفرح.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الأول

الفرح المحمود

تمهيد:

المقصود بالفرح المحمود: ما كان فرحاً مطلوبا شرعا؛ لما فيه من رضا الله سبحانه وتعالى ونفع الناس، فهو فرح مطلوب مطلقاً، لأننا سنعرف في الفصل الرابع إن شاء الله أن من الفرح ما يكون محمودا في حال ومذموما في حال، مع أن متعلَّقه واحد؛ غير أن الدافع له أو الأثر السلوكي الناشئ عنه يجعله في عِداد الفرح المحمود أو الفرح المذموم.

في صحيح البخاري[1] عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم، إما قال: بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلا من قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر.

وكان أناس من الناس يقولون لنا، يعني لأهل السفينة: سبقناكم بالهجرة، ودخلت أسماء بنت عميس، وهي ممن قدم معنا، على حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عمر

(١) كتاب المغازي (ح ٤٢٣٠، ٤٢٣١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم، فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم، ويعظ جاهلكم، وكنا في دار - أو في أرض - البعداء البغضاء بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله صلى الله عليه وسلم، وايم الله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا، حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن كنا نؤذى ونخاف، وسأذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وأسأله، والله لا أكذب ولا أزيغ، ولا أزيد عليه.

فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت: يا نبي الله إن عمر قال: كذا وكذا؟ قال: «فما قلت له؟» قالت: قلت له: كذا وكذا، قال: «ليس بأحق بي منكم، وله ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم -أهل السفينة- هجرتان»، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالا، يسألوني عن هذا الحديث، **ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم**، قال أبو بردة: قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني.

وللفرح المحمود صور كثيرة، نذكر منها ما يلي في المباحث الآتية:

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الأول

الفرح بالإيمان والتقوى

المطلب الأول: تعريف الإيمان وتعريف التقوى:

أما الإيمان لغة: فهو التصديق مع الثقة وإظهار الخضوع، قال الزمخشري: وما أومن بشيء مما تقول، أي ما أصدق ولا أثق.

فالإيمان ليس مرادفا للتصديق -كما يقوله كثير من المتكلمين- بل يدل على طمأنينة بخبر المخبِر أكثر من: (صدّقتُ)، ولهذا يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنه لو فسّر بالإقرار لكان أجود، فهو تصديق وزيادة، وهي الأمن والطمأنينة، فهو متضمن للالتزام بالمؤمَن به[١].

وفي الشرع: الإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويتفاضل أهله فيه[٢].

وأما التقوى: فهي في اللغة: مِن اتّقيت الشيء وتقيته أتقيه تُقىً وتَقية وتِقاءً: حَذِرته، والاسم: التقوى.

(١) انظر: أساس البلاغة للزمخشري (ص٢٢)، مختار الصحاح (ص٢٩)، القاموس المحيط (ص١٥١٨)، الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٧٧ - ٨٠)، بريق الجمان بشرح أركان الإيمان، لشيخنا الدكتور محمد محمدي النورستاني (ص ٢١ - ٢٣).

(٢) انظر: أصول السنة للحميدي (ص٤٩). وكتاب الإيمان، للحافظ ابن أبي شيبة (ص٥٠)، وأصول السنة للإمام أحمد (ص ٢٩)، وصريح السنة للإمام الطبري (ص٤٤) كلاهما ضمن الجامع في متون العقيدة والتوحيد، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للحافظ اللالكائي (ج٤ / ص٩١١)، وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الدمشقي الحنفي (ج٢ / ص ١٠٧)، أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (ص ٤٥)، بريق الجمان (ص٢٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وأما في الاصطلاح، فهي: الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، بصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك[١].

وحرر الإمام الغزالي الكلام عن التقوى في اللغة، وإطلاقها في القرآن، ومنازلها، وخرج بتعريف للتقوى مختصر جامع فقال: التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا في دينك[٢].

المطلب الثاني: سبب الفرح بالإيمان والتقوى:

إذا عرفنا حقيقة الإيمان وحقيقة التقوى، فإن الفرح بهما من أعظم صور الفرح المحمود، فالمؤمن يفرح بإيمانه وتقواه؛ لأنه يحقق مراد الله سبحانه وتعالى في الأرض، ويرضى الله عنه فيرضيه، وعليه استحق البشارة بخيري الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[يونس:٦٢-٦٤].

وتنوعت أقوال المفسرين في «البشرى» التي بشر الله بها أولياءه ما هي؟ وما صفتها؟

فقال بعضهم: هي الرؤية الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له، وفي الآخرة الجنة.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾، قال النبي

(١) القاموس المحيط (ص١٧٣١)، معجم التعريفات للجرجاني (ص٥٨)، المعجم الوسيط (ص١٠٥٢).
(٢) منهاج العابدين (ص٢٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

صلى الله عليه وآله وسلم: «الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرَى له»، وسأله عبادةُ بن الصامت رضي الله عنه فأجابه نفس الجواب[١].

وقال آخرون: هي بشارة يبشَّر بها المؤمن في الدنيا عند الموت.. وعزاه الطبري بأسانيده لقتادة والضحاك.

وقول ثالث: أنها ثناء الناس على المؤمن. قال أبو ذر رضي الله عنه: قيل لرسول الله: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «تلك عاجل بشرى المؤمن»[٢].

فنخلص -إذن- مما سبق بأن بشارة الله للمؤمن تكون في ثلاثة مواطن:

- في الدنيا:

بالرؤيا الصالحة يراها أو تُرى له.

وبثناء الناس عليه بأعمال أخلص فيها لله فأطلع الله عباده عليها.

- وعند الموت:

حين تبشره الملائكة برحمة الله ورضوانه، كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه، تقول لنفسه: اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه»[٣].

وكذلك في البرزخ حين يوسع له في قبره ويبشر بالجنة.

---

(١) المسند (ج ٥/ ص٣٢٥) (ج٦/ ص٤٤٥)، جامع الترمذي (كتاب الرؤيا،ح٢٢٧٣، ٢٢٧٥) وقال السيوطي في الإكليل (ص ٣٧٧): فهو أصل في تعبير المنام.

(٢) صحيح مسلم. كتاب البر والصلة، (ح ٢٦٤٢).

(٣) هو حديث البراء بن عازب الطويل، في مسند الإمام أحمد (ج ٤ / ص٢٨٧) .

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- ويوم القيامة لمّا يبشر المؤمن بالجنة، كما قال جل ثناؤه: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [البقرة:٢٥]، نسأل الله أن يجعلنا من أهلها.

وهذا التعميم في البشارة هو الذي رجحه الطبري رحمه الله تعالى(١).

قال ابن المقفع رحمه الله: السعيد يرغبه الله في الآخرة حتى يقول: لا شيء غيرها، فإذا هضم دنياه وزهد فيها لآخرته، لم يحرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا ولم ينقصه من سروره فيها.

والشقي يرغبه الشيطان في الدنيا حتى يقول: لا شيء غيرها، فيجعل الله له التنغيص في الدنيا التي آثر مع الخزي الذي يلقى بعدها(٢).

المطلب الثالث: أمثلة للفرح بالإيمان:

١-**ومن أمثلة الفرح** الذي يتنعم به المؤمن عند لقاء الله سبحانه وتعالى **فرحه بصومه**، كما روى أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «قَالَ اللَّهُ: ﴿ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ﴾.

(١) انظر: جامع البيان (ج١١/ ص١٥٩)، معالم التنزيل (ج ٢/ ص ٤٢٦)، المحرر الوجيز (ج ٤ / ص ٤٩٩)، الجامع لأحكام القرآن (ج٨/ ص٣٢١)، مدارك التنزيل (ص ٤٧٨)،تفسير القرآن العظيم (ج ٢ / ص ١١٣٤)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٥٠٠)، التحريروالتنوير (ج ١١/ ص ٢١٩).

(٢) الأدب الصغير. ابن المقفع ت. الأستاذ أحمد زكي باشا. جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية ١٣٢٩هـ ١٩١١م (ص: ٥٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ.. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بفطره، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»[١].

قال أبو عمر القرطبي رحمه الله: معناه فرح بزوال عطشه وجوعه حين أبيح له الفطر، وهذا الفرح طبيعي وهو السابق للفهم.

وقيل إن فرحه بفطره إنما هو من حيث أنه تمام صومه، وخاتمة عبادته، وتحقيق ريِّه، ومعونة على مستقبل صومه. ا.هـ[٢].

ورجحه الإمام النووي رحمه الله حيث نقل عن العلماء: أن سبب فرحته عند لقاء ربه ما يراه من جزائه وتذكر نعمة الله تعالى عليه بتوفيقه لذلك، وأما عند فطره فسببها تمام عبادته وسلامتها من المفسدات، وما يرجوه من ثوابها[٣].

ويجمع الحافظ ابن حجر بين القولين فيقول: ولا مانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكر، ففرح كل أحد بحسبه؛ لاختلاف مقامات الناس في ذلك، فمنهم من يكون فرحه مباحا وهو الطبيعي، ومنهم من يكون مستحبا وهو من يكون سببه شيء مما ذكره.

أما قوله: «وإذا لقي ربه فرح بصومه» أي بجزائه وثوابه، وقيل: الفرح الذي عند لقاء ربه: إما لسروره بربه، أو بثواب ربه على الاحتمالين. قلت: والثاني

(١) مسند أحمد (ج٢/ ص٢٣٢)، البخاري كتاب الصيام (ح١٩٠٤) واللفظ له، ومسلم كتاب الصيام (ح١١٥١).
(٢) المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (ج٣/ ص٢١٦).
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (ج٨/ ص٣١-٣٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أظهر؛ إذ لا ينحصر الأول في الصوم، بل يفرح حينئذ بقبول صومه وترتب الجزاء الوافر عليه[١].ا.هـ.

ففي هذا الحديث -إذن- أنواع من الفرح:

* الفرح المباح بالفطر بعد الصوم،

* والفرح المحمود بالتوفيق للعمل الصالح الذي هو من الإيمان ومن تقوى الله،

* والفرح في الدار الآخرة.

٢- **الفرح بالصلاة**، وتقديمها في القلب على ملاذ الدنيا التي يفرح بها المؤمن فرحا مباحا، غير أنه لا يغلب على فرحه بصلاته، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدوتنا في ذلك، فهو يقول فيما يرويه عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: «حُبِّب إليَّ من الدنيا: النساء والطيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة»[٢].

وإنما كانت الصلاة قرة عينه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه كان -حالة كونه فيها- مجموعَ الهم على مطالعة جلال الله تعالى، فيحصل له من آثار ذلك ما تقر به عينه.. فهي محل المناجاة ومعدن المصافاة.. ومنه قوله: «يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها»[٣] أي اشغلنا عما سواها بها، فإنه تعب وكدح، وإنما الاسترواح في الصلاة؛ فأرحنا بندائك بها.

---

(١) فتح الباري (ج٤/ ص١١٨).

(٢) مسند الإمام أحمد (ج٣ / ص ١٢٨)، سنن النسائي. كتاب عشرة النساء (ح ٣٩٣٩)، وحسن إسناده الأرنؤوط في تحقيق المسند (ج١٩ / ص٣٠٥)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب (ح ٤٩٨٥) وصححه الألباني.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وعبر في أمر الدين بعبارة أبلغ مما عبر به في أمر الدنيا على مجرد التحبيب، وقال في أمر الدين: «جعلت قرة عيني» فإن في قرة العين من التعظيم في المحبة ما لا يخفى[١].

٣-ومن الفرح المحمود بالإيمان: الفرح بثواب الله و قبول العمل بعد الشك في إمكان رده وعدم قبوله، وله أمثلة في حياة الصحابة، وهذه منها:

المثال الأول:

ما حصل لأبي الدرداء رضي الله عنه الصحابي الجليل فيما رواه أحمد و أبو داود[٢]عن قيس بن بشر التغلبي قال: أخبرني أبي -وكان جليسا لأبي الدرداء رضي الله عنه - قال: كان بدمشق رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم يقال له ابن الحنظلية[٣]، وكان رجلا متوحدا قلما يجالس الناس، إنما هو في صلاة، فإذا فرغ فإنما يسبح ويكبر حتى يأتي أهله.

فمر بنا يوما ونحن عند أبي الدرداء، فقال له أبو الدرداء: كلمة تنفعنا ولا تضرك، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية فقدمت، فجاء رجل منهم فجلس في المجلس الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

(١) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، للحافظ المناوي، (ج١ / ص ٤٨٦، ٤٩٣) وفيض القدير شرح الجامع الصغير له (ج٣ / ص ٣٧٠)، ومرقاة المفاتيح للعلامة القاري (ج ٩ / ص ٤٤٨).

(٢) مسند الإمام أحمد (ج٤/ ص ١٧٩) (ح ١٧٦٥٩)– سنن أبي داود، كتاب اللباس (ح ٤٠٨٩) وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، وقال الأرنؤوط في تخريج المسند (ج٢٩/ ص١٥٩): إسناده محتمل للتحسين.

(٣) اسمه سهل، والحنظلية أمه، وقيل غير ذلك، وهو سهل بن الربيع بن عمرو الأنصاري الأوسي، كان ممن بايع تحت الشجرة، ومات بدمشق في أول خلافة معاوية، انظر: الاستيعاب بهامش كتاب الإصابة (ج٢/ ص ٩٥).. وذكر ابن حجر أن المشهور أن اسم أبيه عمرو بن عدي، انظر الإصابة (ج٢/ ص٨٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فقال لرجل إلى جنبه: لو رأيتَنا حين التقينا نحن والعدو فحمل فلان فطعن فقال: خذها وأنا الغلام الغفاري، كيف ترى في قوله؟ قال: ما أراه إلا قد أبطل أجره، فسمع ذلك آخر فقال: ما أرى بذلك بأسا.

فتنازعا حتى سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «سبحان الله، لا بأس أن يُحمَد ويؤجر».

قال: فرأيت أبا الدرداء سُرّ بذلك، وجعل يرفع رأسه إليه ويقول: آنت سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: نعم، فما زال يعيد عليه حتى إني لأقول: ليبركن على ركبتيه... الحديث.

قال العلامة السندي رحمه الله: (ليبركن على ركبتيه) من كثرة فرحه، وذكر أن معنى الحديث: أي لا بأس أن يجتمع له الأجر من الله تعالى والحمد من الناس بحسن صنيعه، فلو أظهر فعله وحمده الناس عليه لما أبطل بذلك أجره، لكن لابد أن لا يقصد بالإظهار ذلك، فاجتماع الأمرين ممكن جائز، بل لو أظهره لقصد الاتباع؛ يؤجر على ذلك كما يؤجر على العمل[1].

المثال الثاني:

كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورضي الله عنهم أجمعين يفرحون بما يبشّرون به من القرب من الله وقبوله أكثر من فرحهم بما ينالونه من متاع الدنيا، ولا أدل على ذلك مما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «وماذا أعددت لها». قال: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه

(١) حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الحسن السندي (ج١٠/ ص٢٩٤ - ٢٩٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وسلم، فقال: «أنت مع من أحببت».

قال أنس: فما فرحنا بشيء، فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنت مع من أحببت» قال أنس: «فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم».

ولفظ الترمذي: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المرء مع من أحب، وأنت مع من أحببت»، فما رأيت فرح المسلمون بعد الإسلام فرحهم بهذا[١].

المثال الثالث:

هذا مثال آخر عجيب في صحيح مسلم [٢]، عن المقداد بن عمرو رضي الله عنه قال: «أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجَهد[٣]، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، فليس أحد منهم يقبلنا[٤].

فأتينا النبي صلى الله عليه و سلم فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنز، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «احتلبوا هذا اللبن بيننا».. قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه ونرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه، قال: فيجيء من

(١) مسند أحمد (ج ٣ / ص ١٧٨)، صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٣٦٨٨)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة (ح٢٦٣٩)، جامع الترمذي، كتاب الزهد (ح ٢٣٨٥).

(٢) كتاب الأشربة (ح٢٠٥٥).

(٣) هو الجوع والمشقة (المنهاج شرح صحيح مسلم ج١٤/ ص ١٣).

(٤) قال النووي: هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به (شرح صحيح مسلم ج١٤/ ص ١٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الليل فيسلم تسليما لا يوقظ نائما ويُسمعُ اليقظان، قال: ثم يأتي المسجد فيصلي ثم يأتي شرابه فيشرب.

فأتاني الشيطان ذات ليلة -وقد شربت نصيبي- فقال: محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم، ما به حاجة إلى هذه الجُرعة.. فأتيتها فشربتها، فلما أن وغَلتْ في بطني وعلمت أنه ليس إليها سبيل؛ قال: ندّمني الشيطان فقال: ويحك! ما صنعت؟ أشربت شراب محمد؟ فيجيء فلا يجده فيدعو عليك فتهلك، فتذهب دنياك وآخرتك.. وعليّ شملة إذا وضعتها على قدمَيّ خرج رأسي، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النوم، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت.

قال: فجاء النبي صلى الله عليه و سلم فسلم كما كان يسلم، ثم أتى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا !! فرفع رأسه إلى السماء، فقلت: الآن يدعو عليّ فأهلك، فقال: «اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني»، قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها عليّ، وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فإذا هي حافلة[1]! وإذا هن حُفَّل كلهن !! فعمدت إلى إناء لآل محمد صلى الله عليه و سلم ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال: فحلبت فيه حتى علته رغوة، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال:

«أشربتم شرابكم الليلة؟» قال: قلت: يا رسول الله، اشرب، فشرب ثم ناولني ، فقلت: يا رسول الله، اشرب، فشرب ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي

(١) يعني كثيرة اللبن في الضرع، والجمع حُفَّل. انظر: القاموس المحيط (ص١٢٧٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

صلى الله عليه و سلم قد رَوِي وأصبتُ دعوته؛ ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض.

قال: فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «إحدى سوآتك يا مقداد !!»[١]، فقلت: يا رسول الله، كان من أمري كذا وكذا وفعلت كذا، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: «ما هذه إلا رحمة من الله [٢]، أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها؟» قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتَها وأصبتُها معك مَن أصابها مِن الناس».

فهذا الصحابي الجليل والفارس المقدام كان حزيناً وخائفاً من أن يدعو عليه النبي صلى الله عليه وسلم، لكونه أذهب نصيب النبي صلى الله عليه و سلم وتعرض لأذاه.. فلما علم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد روي وأجيبت دعوته فرح وضحك حتى سقط إلى الأرض من كثرة ضحكه:

أ- لذهاب ما كان به من الحزن وانقلابه مسرورا بشرب النبي صلى الله عليه و آله وسلم.

ب- وإجابة دعوته لمن أطعمه وسقاه وجريان ذلك على يد المقداد.

جـ- وظهور هذه المعجزة.

د- ولتعجبه من قبح فعله أولا، وحسنه آخراً[٣].

فيتحصل لنا من هذا المبحث: أن الإيمان و تقوى الله، أقوالا وأفعالا واعتقادات، لو فرح بها العبد فهو من الفرح المحمود الذي يؤجر عليه، ويدل على تعلقه بالإيمان والتقوى.

(١) أي أنك فعلت سوأة من الفعلات، فما هي؟

(٢) أي إحداث هذا اللبن في غير وقته وخلاف عادته، وإن كان الجميع من فضل الله.

(٣) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (ج١٤/ ص ١٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

الفرح بالقرآن

من صور الفرح المحمود: الفرح بالقرآن الكريم، المشار إليه في قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨]، ولابد لهذا المبحث من مطالب توضح مرامه وتكشف لثامه، وهي كما يلي:

المطلب الأول: الأصل في الفرح بالقرآن:

الأصل في الفرح بالقرآن آيات أذكر منها آيتين:

الآية الأولى:

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨].

وقد ذكر المفسرون أن الله تعالى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ ﴾، أيها الناس، الذي تفضل به عليكم، وهو الإسلام، فبيَّنه لكم، ودعاكم إليه ﴿ وَبِرَحْمَتِهِۦ ﴾، التي رحمكم بها، فأنزلها إليكم، فعلَّمكم ما لم تكونوا تعلمون من كتابه، وبصَّركم بها معالم دينكم: وذلك القرآن ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾.

فإن الإسلام الذي دعاهم إليه، والقرآن الذي أنزله عليهم، خيرٌ مما يجمعون من حُطَام الدنيا وأموالها وكنوزها.

قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم رضي الله عنهم: فضلُه:

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الإسلام، ورحمتُه: القرآن.

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلنا من أهله. ا.هـ.

ولاحظ أن دخول الفاء إنما هو لمعنى الشرط، كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصّوهما بالفرح، فإنه لا مفروح به أحق منها. أفاده الزمخشري رحمه الله[1].

وهذه الآية الكريمة تَذْكر الفرح بالإيمان والقرآن مع الفرح بالدنيا؛ لأن الضد يُظهر حسنَه الضدُّ كما قيل، و هنا يعقد سيد قطب رحمه الله تعالى مقارنة بين الفرح بالإيمان والقرآن، وبين الفرح بمتاع الدنيا، بأن الفرح بالإيمان والقرآن هو الفرح العلوي الذي يطلق النفس من عقال المطامع الأرضية والأعراض الزائلة، فيجعل هذه الأعراض خادمة للحياة لا مخدومة؛ ويجعل الإنسان فوقها -وهو يستمتع بها- لا عبداً خاضعاً لها.

ويستدرك بأن الإسلام لا يحقر أعراض الحياة الدنيا ليهجرها الناس ويزهدوا فيها، إنما هو يزنها بوزنها ليستمتع بها الناس وهم أحرار الإرادة طلقاء اليد، مطمحهم أعلى من هذه الأعراض، وآفاقهم أسمى من دنيا الأرض، الإيمان عندهم هو النعمة، وتأدية مقتضيات الإيمان هي الهدف، والدنيا -بعد ذلك- مملوكة لهم لا سلطان لها عليهم[2].

---

(١) انظر: جامع البيان (ج١١/ ص١٤٤، ١٤٥)، معالم التنزيل (ج٢/ ص٤٢٣)، الكشاف (٢/ ٢٧٧)، المحرر الوجيز (ج٤/ ص٤٩٣)، الجامع لأحكام القرآن (ج٨/ ص٣١٦)، مدارك التنزيل (ص٤٧٧)، تفسير القرآن العظيم (ج٢/ ص١١٣١)، التسهيل لعلوم التنزيل، للحافظ ابن جُزيّ (ج٢/ ص١٧٦)، تفسير الجلالين (ص٢١٥)، جامع البيان لمعين الدين الإيجي (ص٤١٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٤٩٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (ج٣/ ص١٧٩٩-١٨٠٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴾ [الرعد: ٣٦].

وقد يكون المقصود بالذين آتاهم الله الكتاب صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين قرت أعينهم بكتاب الله سبحانه وتعالى وكانوا يحرصون على سماع آياته، وتدبر معانيه، والعمل بما فيه برغبة وشوق، وعلى هذا فالمراد بالكتاب القرآنُ، كما قال قتادة رحمه الله: أولئك أصحابُ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، فرحوا بكتاب الله وبرسوله وصدَّقُوا به.

وقد يكون المقصود: من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب، حين رأوا صدق بشارات أنبيائهم في القرآن الكريم وفي شخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففرحوا أن الله وفقهم لإدراكه والإيمان به.

وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين، قال ابن زيد[1] رحمه الله: هذا مَنْ آمنَ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب فيفرحون بذلك. وقرأ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ﴾[يونس: ٤٠].

وسبب فرح أهل الكتاب بالقرآن الكريم:

- إما لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والبشارة به.
- وإما لموافقته ما عندهم، فهو يؤكد ما بقي عندهم من الحق في كتبهم وما

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني، يضعّف في الحديث وهو من أئمة التفسير (تـ١٨٢هـ)، انظر خلاصة الخزرجي (ص٢٢٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كانوا يدينون به قبل نزوله.

- وإما لسرورهم بما يَرِد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مباحات الشرع، بعد أن كان في دينهم تشديد عليهم[١].

قصة في عهد عمر:

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يدركون تمام الإدراك أن الفرح الأكبر إنما هو بالقرآن والإيمان، وهذه القصة التي أوردها الإمام ابن أبي حاتم رحمه الله تعالى في تفسيره تدل على ذلك:

فقد روى عن أيفع بن عبدٍ الكلاعي قال: لما قدم خراج العراق إلى عمر خرج عمر ومولى له، فجعل عمر يعد الابل فإذا هو أكثر من ذلك، فجعل عمر يقول: الحمد لله، ويقول مولاه: يا أمير المؤمنين، هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر: كذبت! ليس هذا هو؛ يقول الله: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وهذا مما تجمعون.[٢]

ونعود إلى تأملات سيد في ظلاله، فإنه قال بعد أن ذكر أيضا هذه القصة: هكذا كان الرعيل الأولون ينظرون إلى قيم الحياة. كانوا يَعُدُّون الفضل الأول والرحمة الأولى هي ما جاءهم من الله من موعظة وهدى. فأما المال، وأما الثراء، وأما النصر ذاته فهو تابع؛ لذلك كان النصر يأتيهم، وكان المال ينثال عليهم، وكان الثراء يطلبهم.

(١) انظر: جامع البيان (ج١٣/ ص١٩٥)، معالم التنزيل (ج٣/ ص٢٥)، المحرر الوجيز (ج٥/ ص٢١٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج٩/ ص٢٧٦)، مدارك التنزيل (ص٤٧٨)، تفسير القرآن العظيم (ج٢/ ص١٢٣٥ - ١٢٣٦)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢ / ص٢٥٤)، تفسير الجلالين (ص٢٥٤)، جامع البيان للإيجي (ص٤٧٨)، التحرير والتنوير (ج١٣/ ص١٥٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص٥٧٥).
(٢) تفسير ابن أبي حاتم للإمام الرازي (٦/ ١٩٦٠)، تفسير القرآن العظيم، (ج٢ ص١١٣١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إن طريق هذه الأمة واضح، إنه في هذا الذي يسنه لها قرآنها، وفي سيرة الصدر الأول الذين فهموه من رجالها.. هذا هو الطريق.ا.هـ باختصار[١].

المطلب الثاني: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾؟

هل المقصود بالخطاب في قوله تعالى: ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ الكفار أو المؤمنون؟ أقوال لأهل العلم:

* فالظاهر من قول الطبري السابق ترجيح الأول، بل صرح به بعد ذلك فذكر «أنه خبر عن أهل الشرك بالله. يقول: فبالإسلام والقرآن الذي دعاهم إليه، فليفرح هؤلاء المشركون، لا بالمال الذي يجمعون؛ فإن الإسلام والقرآن خيرٌ من المال الذي يجمعون».

* وقال البغوي: ليفرح المؤمنون أن جعلهم الله من أهله، ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أي: مما يجمعه الكفار من الأموال.

* ويرى آخرون: أن النداء عام للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، ويدل عليه الآية التي قبلها، وهي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس٥٧]، وهو اختيار ابن عطية وسيد قطب رحمهما الله.. يقول سيد: جاءتكم الموعظة:

- لتحيي قلوبكم.

- وتشفي صدوركم من الخرافة التي تملؤها، والشك الذي يسيطر عليها، والزيغ الذي يمرضها، والقلق الذي يحيرها.

- جاءت لتفيض عليها البرء والعافية واليقين والاطمئنان والسلام مع

(١) في ظلال القرآن (ج٣ ص ١٧٩٩-١٨٠٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الإيمان. وهي لمن يرزق الإيمان هدى إلى الطريق الواصل، ورحمة من الضلال والعذاب[١].

المطلب الثالث: دوافع الفرح بالقرآن الكريم:

وهنا يرد السؤال عن بواعث الفرح بالقرآن الكريم، ونجد في كتاب الله سبحانه وتعالى الجواب بأنه:

١- يفرح المؤمنون بالقرآن لأنهم يزدادون -بتلاوة آياته وبسماعها -إيماناً.

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾[براءة: ١٢٤] أي: يفرحون بنزول القرآن، قال الطبري، مبينا سبب ذلك: وهم يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين.

ويزيده سيد قطب وضوحاً فيقول: فأما الذين آمنوا:

* فقد أضيفت إلى دلائل الإيمان عندهم دلالة، فزادتهم إيماناً.

* وقد خفقت قلوبهم بذكر ربهم خفقة، فزادتهم إيماناً.

* وقد استشعروا عناية ربهم بهم في إنزال آياته عليهم، فزادتهم إيماناً.

فهم -كما قال العلامة النسفي رحمه الله- يعدّون زيادة التكليف بشارة التشريف[٢].

---

(١) انظر: جامع البيان (ج١١/ ص١٤٥)، معالم التنزيل (ج٢/ ص٤٢٣)، المحرر الوجيز (ج٤/ ص٤٩٣)، الجامع لأحكام القرآن (ج٨/ ص٣١٦)، جامع البيان للإيجي (ص ٤١٦)، الظلال (ج٣ ص ١٧٩٩-١٨٠٠).

(٢) انظر: جامع البيان (ج١١/ ص٨٥، ٨٦)، معالم التنزيل (ج٢/ ص٤٠٧)، المحرر الوجيز (ج٤ / ص٤٣٧)، مدارك التنزيل (ص٤٦٠)، تفسير الجلالين (ص٢٠٧)، جامع البيان للإيجي (ص ٤٠٣)،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- ويفرحون بالقرآن للأنس به في القلب؛ لما فيه من نشاطه وتنويره و حياته:

قال الله سبحانه وتعالى:﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة: ٩٧].

فهو هدى وبشرى للقلوب المؤمنة التي تتفتح له وتستجيب.. وهذه حقيقة ينبغي إبرازها، إن نصوص القرآن لتسكب في قلب المؤمن من الإيناس، وتفتح له من أبواب المعرفة، وتفيض فيه من الإيحاءات والمشاعر ما لا يكون بغير الإيمان. ومن ثم يجد فيه الهدى، كما يستروح فيه البشرى.. قاله سيد.

٣- وفي القرآن بشارة للمؤمنين بثواب أعمالهم في الدنيا والآخرة:

وهذا ما ورد تأكيده وإيضاحه وبيانه في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة: ٩٧]، فأخبر الله عباده المؤمنين - جل ثناؤه- أن القرآن لهم بشرى منه، لأنه أعلمهم بما أعد لهم من الكرامة عنده في جناته، وما هم إليه صائرون في معادهم من ثوابه، وذلك هو»البشرى» التي بشر الله بها المؤمنين في كتابه.

وفي هذا السياق يعلل قتادة رحمه الله قوله تعالى: ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فيقول: لأن المؤمن إذا سمع القرآن:

* حفظه ووعاه.

* وانتفع به واطمأن إليه.

التحرير والتنوير (ج١١/ ص٦٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص٤٨٢)، في ظلال القرآن (٣/ ١٧٤٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

* وصدق بموعود الله الذي وعد فيه، وكان على يقين من ذلك[١].

ومثله قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[البقرة: ١١٩].

والحق الذي أرسله به هو الإسلام الذي لا يقبل من أحد غيره من الأديان؛ ليبشر من اتبعه وأطاعه:

* بالنصر في الدنيا.

* والظفر بالثواب في الآخرة، والنعيم المقيم فيها.

وينذر من عصاه وخالفه، ورد عليه دعوته:

* بالخزي في الدنيا، والذل فيها.

* والعذاب المهين في الآخرة[٢].

وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩].

والمسلم المبشَّرهنا -حسب تعريف الطبري- من أطاع الله وخضع له بالتوحيد، وأذعن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة، وعظيم كرامته[٣].

---

(١) انظر: جامع البيان (ج١/ ص٥٠٤)، تفسير القرآن العظيم (ج١/ ص١٥٨)، تفسير الجلالين (ص١٥)، التحرير والتنوير (ج١/ ص٦٢٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص٥٧).

(٢) انظر: جامع البيان (ج١/ ص٥٩٣)، معالم التنزيل (ج١/ ص١٦٠)، المحرر الوجيز (ج١/ ص٣٣٥)، مدارك التنزيل (ص٧٥)، تفسير القرآن العظيم (ج١/ ص١٩١)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج١/ ص١٤٩)، تفسير الجلالين (ص١٨)، جامع البيان للإيجي (ص٦٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص٦٣).

(٣) انظر: جامع البيان (ج١٤/ ص١٩٣)، مدارك التنزيل (ص٦٠٦)، تفسير الجلالين (ص٢٧٧)،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والقارئ في كتاب الله يلحظ هذا المعنى كثيراً، وربما ذُكِرت أعمال معينة وذكر معها التبشير بالثواب الجزيل من الله، ومن ذلك:

أ- البشارة بثواب الصبر:

وذلك لمن يصبر على لأواء الدنيا؛ يرجو الثواب من الله، ويعرف حقيقة الدنيا بما عرّفه الله سبحانه، فإن الدنيا في حقيقتها كما صورها أبو البقاء صالح بن شريف الرندي[1] رحمه الله تعالى بقوله:

لكلّ شيءٍ، إذا ما تـمّ، نقصـانُ ... فلا يغرَّ بطيب العيـش إنســـانُ

هي الأمور كمـــا شاهدتها دول ... منْ سرّه زمنٌ ســـــاءتهُ أزمانُ

وهـــــذه الدّار لا تبقي على أحـدٍ ... ولا يدوم على حالٍ لها شـــانُ[2]

فكان للصابرين على ما يصيبهم فيها تلك البشارة التي في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دارُ بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأمرَهم بالصبر، وبَشّرهم فقال:﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه وصَفوته؛ لتطيب أنفسهم، فقال: ﴿ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

التحرير والتنوير (ج١٤/ ص٢٤٥)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦١٤).

(١) المتوفى سنة ٧٩٨ هـ، يرثي الأندلس.

(٢) جواهر الأدب (ج٢/ ص٣٣٦، ٣٣٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والإمام الطبري يعدد لنا صور الصبر الذي استحق به صاحبه البشارة فيجعلها في:

١- الصابرين على امتحان الله وبلائه، القائلين إذا أصابتهم مصيبة: «إنا لله وإنا إليه رَاجعون».

٢- والحافظين أنفسهم عن الوقوع فيما نهاهم عنه.

٣- والآخذين أنفسهم بأداء ما كلفهم من الفرائض.

والباعث لهم على الصبر على المصائب: علمهم أن جميع ما بهم من نعمة فمن الله: فيُقرون بعبوديته، ويوحِّدونه بالربوبية، ويصدقون بالمعاد والرجوع إليه سبحانه: فيستسلمون لقضائه، ويرجون ثَوابه، ويخافون عقابه، ويقولون عند امتحان الله إياهم: إنا مماليك ربنا ومعبودِنا أحياءً، ونحن عبيده، وإنا إليه بعد مَماتنا صائرون.

فكانت مكافأتهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

والصلوات: المغفرة، في اختيار الطبري؛ مستدلا بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم صَلِّ على آل أبي أوْفى»[(١)]. يعني: اغفر لَهم.. ويمنّ عليهم بالهداية، فيصيبون طريق الحقّ. والرشد للصواب.. قال البغوي: قال عمر رضي الله عنه: نِعْم العِدْلان ونِعْمت العلاوة، فالعدلان: الصلاة والرحمة، والعلاوة: الهداية.

ومن أمثلة البلاء الذي يصيب الناس في الدنيا ما ذكره ابن عباس رضي

(١) صحيح البخاري (كتاب الزكاة ح ١٤٩٧)- صحيح مسلم (كتاب الزكاة ح ١٠٧٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الله عنهما بأن الْخَوْف خوف العدو، وَالْجُوع يعني القحط، وَالنَقْص مِنَ الأَمْوَالِ بالخسران والهلاك، وَنقص الأَنْفُسِ بالقتل والموت، وقيل: بالمرض والشيب وَنقص الثَّمَرَاتِ بالجوائح في الثمار[١].

*** قصة.. وقصة:**

القصة الأولى: قال أبو سنان عيسى بن سنان التيمي الحنفي رحمه الله: دفنت ابني سناناً، وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدي فأخرجني، فقال: ألا أبشرك؟ حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا: نعم، قال: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا: نعم، قال: فماذا قال عبدي؟ قالوا: استرجع وحمدك قال: ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد»[٢].

القصة الثانية: من صور هذه البشارة ما روته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها حين قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أْجُرني في

(١) انظر: جامع البيان (ج٢، ص٥١- ٥٣) باختصار، وانظر معالم التنزيل (ج ١/ ص ١٨٥ - ١٨٧)، المحرر الوجيز (ج ١ / ص ٣٨٧ - ٣٨٨)،الجامع لأحكام القرآن (ج٢ / ص ١٧٠ - ١٧٣)، مدارك التنزيل (ص ٨٧- ٨٨)، تفسير القرآن العظيم (ج ١/ ص ٢٢٩ - ٢٣٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ١/ ص ١٦١)، تفسير الجلالين (ص ٢٤)، جامع البيان لمعين الدين الإيجي (ص ٧٦)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٨٠- ٨١).

(٢) مسند الإمام أحمد (ج٤/ ص٤١٥)، جامع الترمذي. كتاب الجنائز (ح١٠٢١) وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسنه الألباني.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مصيبتي وأخلف لي خيرا منها: إلا أخلف الله له خيرا منها».

قالت: فلما مات أبو سلمة رضي الله عنه قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وحاصل ما سبق: أن الفرح والاستبشار بثواب الصبر محمود مطلوب، وإن النفس لتهتز لسماع الثواب الذي كتبه الله للصابرين، فتبادر إلى التحلي به؛ لنيل تلك الكرامات، كما أن المؤمن يعلم أنه يثاب على فرحه بما بشره الله به، وهذا معنى كونه محموداً.

ب- البشارة للمجاهدين الصادقين:

والمجاهد الذي يستحق البشارة هو الذي توفرت فيه مجموعة من الصفات الأساسية الواردة في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [براءة:١١١-١١٢].

فاستمع إلى قول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾، يقول ذلك للمؤمنين: أي فافرحوا غاية الفرح، أيها المؤمنون، الذين صَدَقوا الله فيما عاهدوا، ببيعكم

(١) صحيح مسلم. كتاب الجنائز (ح ٩١٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أنفسَكم وأموالكم من ربكم، وأظهروا السرور بذلك؛ فإنكم تبيعون فانياً بباقٍ، وإن ذلك هو الفوز العظيم، الذي لا فوز أكبر منه ولا أجلّ؛ لأنه موجب للفرح الأبدي، ومتضمن للسعادة الأبدية والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات.

ولما تلا قتادة رحمه الله هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾، قال: ثامَنَهُم الله، فأغلى لهم الثمن. وعن الحسن مثله.

قال عمر رضي الله عنه: إن الله عز وجل بايعك وجعل الصفقتين لك.. وقال الحسن: اسمعوا إلى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن. وعنه أنه قال: إن الله أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها.

قال الطبري: وأما قوله:﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فإنه يعني: وبشّر المصدِّقين بما وعدهم الله إذا هم وفَّوا الله بعهده، أنه مُوفٍّ لهم بما وعدهم من إدخالهم الجنة.. ثم أسند إلى الحسن:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾، حتى ختم الآية، قال: الذين وفوا ببيعتهم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ﴾، حتى ختم الآية، فقال: هذا عملهم وسيرهم في الرخاء، ثم لقوا العدوّ فصدَقوا ما عاهدوا الله عليه[1].

فنخلص من ذلك إلى أن الاستبشار بهذه البيعة مع الله عز وجل من الفرح

(١) انظر: جامع البيان (ج١١/ ص٤٣، ٤٤- ٤٩)، معالم التنزيل (ج٢/ ص٣٩١)، المحرر الوجيز (ج٤/ ص٤١٧)، الجامع لأحكام القرآن (ج٨/ ص٢٤٥)، مدارك التنزيل (ص٤٥٦- ٤٥٧)، تفسير القرآن العظيم (ج٢/ ص١٠٩٩- ١١٠٠)، جامع البيان للإيجي (ص٣٩٨)، التحرير والتنوير (ج١٠/ ص٤٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص٤٤٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الذي يحبه الله، ويحب أن يراه على عباده؛ فإن العبد إذا فرح بذلك انطلق في سبيل الله يبيع نفسه لربه؛ ليربح تلك الصفقة العظيمة.

*** مثال على الفرح بثواب الجهاد:**

أروع مثل نضربه في الاستبشار بثواب الجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى، قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تضمن الله لمن خرج في سبيله -لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسلي -فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه، نائلا ما نال من أجر أو غنيمة.

والذي نفس محمد بيده ما مِن كَلْم يُكْلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كُلم: لونه لون دم، وريحه مسك.

والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سَعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني.

والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأُقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل»[(١)].

وهذا الضمان والكفالة بالجنة للشهيد موافق - كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[(٢)]-لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾[التوبة:١١١].

فتلخص لنا مما سبق أن الفرح بالقرآن من الفرح المحمود الذي يثاب

(١) أخرجه البخاري مفرقا في (كتاب الإيمان ح٣٦)، (كتاب الوضوء ح٢٣٧)، ومسلم. كتاب الإمارة (ح١٨٧٦) عن أبي هريرة، واللفظ له.
(٢) شرح صحيح مسلم (ج٦/ ص٥٠٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عليه العبد، وأنه علامة على إيمانه وتعلقه بالقرآن، لما له من أثر في زيادة إيمان المؤمن، ولأنس قلبه به، ولحياة قلبه بتلاوته، ولما فيه من البشارات العظيمة، والتي منها كذلك:

ج- البشارة للمخبتين:

هي من بشائر القرآن التي تدعو المؤمن للفرح بكتاب الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[الحج:٢٤-٣٥].

﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ بخير الدنيا والآخرة، والمخبت كما قال السعدي رحمه الله تعالى: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده.

و عبارات السلف في معنى المخبتين تدور حول ما لخصه العلامة السعدي رحمه الله.

قال ابن عباس وقتادة: المتواضعين. وقال مجاهد: المطمئنين إلى الله عز وجل، «والخبت» المكان المطمئن من الأرض. وقال الأخفش: الخاشعين. وقال النخعي: المخلصين. وقال الكلبي: هم الرقيقة قلوبهم. وقال عمرو بن أوس: هم الذين لا يَظلمون، وإذا ظُلموا لم ينتصروا.

وأحسن ما يفسّر به ما بعده، وهو قوله عز وجل:

١- ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ أي: خافت منه قلوبُهم، فتركوا لذلك المحرمات.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ أي: من المصائب: البأساء والضراء، وأنواع الأذى، فلا يجري منهم التسخط لشيء من ذلك، بل صبروا ابتغاء وجه ربهم؛ محتسبين ثوابه، مرتقبين أجره، قال الحسن البصري: والله لتصبرُنّ أو لتهلكُنّ.

٣- ﴿ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي: المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه، قال السعدي: الذين جعلوها قائمة مستقيمة كاملة، بأن أدوا اللازم فيها والمستحب، وعبوديتها الظاهرة والباطنة.

٤- ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ أي: وينفقون مما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأرقائهم وقراباتهم، وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى خلق الله مع محافظتهم على حدود الله.(١)

د- البشارة للمحسنين:

ومن بشارات القرآن التي يفرح بها المؤمن، وهي من الصور الجلية للفرح المحمود: فرح المحسنين ببشارة الله لهم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الحج:٣٧].

وهذه البشارة هي للمحسنين:

* بعبادة الله: بأن يعبدوا الله، كأنهم يرونه، فإن لم يصلوا إلى هذه الدرجة

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٣/ ص٣٣٩)، المحرر الوجيز (ج٦/ ص٢٤٧)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٢/ ص٥٨)، تفسير القرآن العظيم (ج٣/ ص١٥٦٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٣ / ص٧٨)، الإكليل في استنباط التنزيل (ص ٤٥٣- ٤٥٤)، تفسير الجلالين (ص٣٣٦)، التحرير والتنوير (ج١٧/ ص٢٦٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٨١٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فليعبدوه، معتقدين -وقت عبادتهم -اطلاعَه عليهم، ورؤيتَه إياهم. فهم يحسنون الصلة بالله في كل نشاط الحياة.

* والمحسنين لعباد الله، بجميع وجوه الإحسان من نفعٍ:

- مال.

- أو علم.

- أو جاه.

- أو نصح.

- أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر.

- أو كلمة طيبة.. ونحو ذلك.

وهكذا لا يخطو المسلم في حياته خطوة، ولا يتحرك في ليله أو نهاره حركة، إلا وهو ينظر فيها إلى الله، ويجيش قلبه فيها بتقواه، ويتطلع فيها إلى وجهه ورضاه.. فإذا الحياة كلها عبادة تتحقق بها إرادة الله من خلق العباد، وتصلح بها الحياة في الأرض وهي موصولة السبب بالسماء.

فالمحسنون لهم البشارة من الله، بسعادة الدنيا والآخرة، وسيحسن الله إليهم كما أحسنوا في عبادته ولعباده ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [يونس: ٢٦][1].

وكما أن الله يبشر المؤمنين بثواب أعمالهم، فإن المؤمن كذلك يفرح ويستبشر بتوفيق الله إياه للعمل الصالح، ويحزن إذا وقع في المعصية، ولهذا كان

(١) انظر: مدارك التنزيل (ص٤٠)، جامع البيان للإيجي (ص٦٢١)، تيسير الكريم الرحمن (ص٨١٨)، في ظلال القرآن (ج٤/ ص٢٤٢٣- ٢٤٢٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفرح باكتساب الحسنات علامة على الإيمان الصادق، كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمن سأله عن الإيمان:«إذا سَرَّتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن»[١].

والمعنى: إذا أفرحتك عبادتك وأخلاقك الحسنة مع الناس؛ لكونك جازماً بصدق الشارع فيما جاء به عن الله تعالى من حصول الثواب عليها.. وأحزنك ذنبك -سواء كان تقصيرا في حقوق الله أو حقوق الناس-؛ لكونك قاطعاً بصدق الشارع فيما توعد به من العقاب عليها: فأنت كامل الإيمان؛ لفرحك بما يرضي الله وحزنك بما يغضبه، وفي الحزن عليها إشعار بالندم الذي هو أعظم أركان التوبة.

وإنما سميت الحسنة حسنة لأنّ بها يحسن حال فاعلها، وهي سبب إحسان الله تعالى، وسميت السيئة سيئة لأن بها يسوء حال فاعلها، وهي سبب كل سوء ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى:٣٠] [٢].

فخلاصة هذا المبحث -إذن- أن الفرح بالقرآن من الفرح المحمود، وأن المؤمن يفرح بكتاب الله؛ لأن في تلاوته والعمل بما فيه: زيادة في إيمان المؤمن، و لما يجده هذا المؤمن من الأنس بالقرآن الكريم، وحياة قلبه بتدبره وتلاوته، ولما فيه من البشارات العظيمة له، كالبشارة للمحسنين وللمخبتين وللمجاهدين... ونحو ذلك.

---

(١) مسند الإمام أحمد (ج ٥/ ص ٢٥٢) والمستدرك على الصحيحين (ج١/ ص١٣)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه ووافقه الذهبي. وقال المناوي: قال العراقي في أماليه: حديث صحيح، انظر فيض القدير (ج١ / ص ٣٧٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح٦٠٠).

(٢) انظر: فيض القدير (ج١/ ص٣٧٤)، التيسير بشرح الجامع الصغير (ج١ص١٠٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

الفرح بالولد الصالح

وهو من الفرح بالثواب إذا كان سببه ما يرجوه العبد من الأجر في صلاح ولده، لا مجرد الفرح بحصول الذرية، وبيانه في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: أنموذج نبوي في الفرح بالولد الصالح:

وهو زكريا صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم حين بشره ربه عز وجل بالولد الصالح الذي يرثه في علمه ودعوته. قال زكريا: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٥-٧].

«وذلك أن الله تعالى اجتبى زكريا عليه السلام لرسالته، فقام بذلك قيام أمثاله من المرسلين، ودعا العباد إلى ربه، وعلّمهم ما علمه الله.

فلما رأى من نفسه الضعف، وخاف أن يموت، ولم يكن أحد ينوب منابه في دعوة الخلق إلى ربهم والنصح لهم؛ شكا إلى ربه ضعفه الظاهر والباطن، وناداه نداء خفيا؛ ليكون أكمل وأفضل وأتم إخلاصا، وقال: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى ﴾ أي: من يتولى على بني إسرائيل من بعد موتي، أن لا يقوموا بدينك حق القيام، ولا يدْعوا عبادك إليك.

ويظهر في هذه المناجاة:

- أنه لم يرَ فيهم أحداً فيه لياقة للإمامة في الدين.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- وشفقته عليه السلام ونصحه.

- وأن طلبه للولد، ليس كطلب غيره، قصده مجرد المصلحة الدنيوية، وإنما قصده مصلحة الدين، والخوف من ضياعه.. فما يطلبه -كما قال سيد- هو الولي الصالح، الذي يحسن الوراثة، ويحسن القيام على تراثه وتراث النبوة من آبائه وأجداده

وكان بيته من البيوت المشهورة في الدين، ومعدن الرسالة، ومظنة للخير، فدعا الله أن يرزقه ولدا، يقوم بالدين من بعده، واشتكى أن امرأته عاقر -أي ليست تلد أصلا- وأنه قد بلغ من الكبر عتيا، أي: عمرا يندر معه وجود الشهوة والولد»[1].ا.هـ.

ولا ينسى زكريا، النبي الصالح، أن يصور أمله في ذلك الوريث الذي يرجوه في كبرته: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾ لا جباراً ولا غليظاً، ولا متبطراً ولا طموعاً. فالرضيّ: الذي يَرضى ويُرضي، وينشر ظلال الرضى فيما حوله ومن حوله» ا.هـ. من كلام سيد[2].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي مرضيا عندك وعند خلقك، تحبه وتحببه إلى خلقك في دينه وخلقه.

والحاصل أنه سأل الله:

- ولدا، ذكرا، صالحا.

- يبقى بعد موته.

---

(١) باختصار وتصرف من كلام العلامة السعدي رحمه الله.
(٢) الظلال (٤/ ٢٣٠٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- ويكون وليا من بعده.

- ويكون نبيا مرضيا عند الله وعند خلقه.

وهذا أفضل ما يكون من الأولاد، ومن رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدا صالحا، جامعا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم. فرحمه ربه واستجاب دعوته[1].

المطلب الثاني: دعوة عباد الرحمن بالولد الصالح:

ليس الفرح بالولد الصالح مطلب زكريا وحده، بل هو مطلب عباد الرحمن الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى في سورة الفرقان بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[الفرقان:٧٤].

فمن صفاتهم التي أثنى الله عليها أنهم يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا من يعمل لك بالطاعة فتقرّ بهم أعيننا في الدنيا والآخرة. كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

وسأل رجل الحسن رحمه الله تعالى، قال: يا أبا سعيد، قول الله:﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ ﴾ في الدنيا والآخرة؟ قال: لا بل في الدنيا، قال: وما ذاك؟ قال: المؤمن يرى زوجته وولده يطيعون الله. وهذا المعنى منقول عن سليمان التيمي والقرظي وغيرهما.

ولذا قال عكرمة: لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين، ويضيف ابن جُرَيج: يعبدونك فيحسنون عبادتك، ولا يجرُّون علينا الجرائر.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٤٤٤)، وانظر: المحرر الوجيز (ج٦/ ص٨- ١٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج١١/ ص٧٥- ٧٩)، مدارك التنزيل (ص ٦٦٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٣/ ص٧)، تفسير الجلالين (ص ٣٠٥)، جامع البيان للإيجي (ص٥٦٥)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٧٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ويبين الزمخشري رحمه الله أن (مِن) إذا كانت للابتداء فمعناها: هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح... كأنه قال: هب لنا منهم سرورا وفرحا.

وينبه العلاّمة السعدي إلى دوافعهم لهذا الدعاء، وأن هممهم العالية جعلتهم يستوهبون الله صلاح ذرياتهم؛ لأن هذا:

- كما أنه دعاء لأزواجهم وذرياتهم في صلاحهم.

- فإنه دعاء لأنفسهم؛ لأن نفعه يعود عليهم، ولهذا جعلوا ذلك هبة لهم فقالوا: ﴿ هَبْ لَنَا ﴾.

- بل دعاؤهم يعود إلى نفع عموم المسلمين؛ لأن بصلاح من ذُكر يكون سببا لصلاح كثير ممن يتعلق بهم وينتفع بهم[1].

إذن، فالفرح بالولد قد يكون من الفرح المباح - كما سيأتينا إن شاء الله في الفصل الرابع - ولكنه يندرج في الفرح المحمود إذا كان الدافع له الرغبة في صلاح الذرية، أو في قيامها بالدعوة إلى الله تعالى.

(١) انظر: جامع البيان (ج١٩/ ص٦٢- ٦٣)، معالم التنزيل (ج٣/ ص٤٥٩)، الكشاف (ج٣/ ص٢٣٣)، المحرر الوجيز (ج٦/ ص٤٦٣)،الجامع لأحكام القرآن (ج١٣/ ص٨٠)، مدارك التنزيل (ص ٨٨٢)، تفسير القرآن العظيم (ج٣/ ص١٦٨٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٣/ ص١٥٢)، الإكليل في استنباط التنزيل (ص٤٩٠)، تفسير الجلالين (ص٣٦٦)، جامع البيان للإيجي (ص٦٧١)، التحرير والتنوير (ج١٩/ ص٨١)، تيسير الكريم الرحمن (ص٨١٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الرابع

الفرح بمعية الله سبحانه وتعالى، وبنصره، وبهلاك الظالمين

في هذا المبحث نتناول نوعا آخر من الفرح المحمود، وهو فرح نابع من محبة الله والشوق إلى القرب منه جل جلاله، وهو فرح المؤمن بشعوره الصادق بمعية الله له وبنصره على أعدائه، وفرحه كذلك بهلاك الظالمين.. وتوضيح هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الفرح بمعية الله سبحانه وتعالى:

وفي القرآن الكريم أمثلة عديدة لفرح المؤمنين بمعية الله لهم، وتبشير الله لهم بذلك، ومنها ما يلي:

المثال الأول:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران:١٢٣-١٢٦].

فإن الله ما أنزل الملائكة وأعلم الصحابة بإنزالها إلا بشارةً لهم وتطييبا لقلوبهم وتطمينا، وليروا حفاية الله بهم، فيفرحوا بها، وتطمئن قلوبهم بوعده فتسكن إليه، ولا تجزع من كثرة عدد العدو وقلة عدد المسلمين؛ فإن الله لما

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وعدهم النصر أيقنوا به، فكان في تبيين سببه -وهو الإمداد بالملائكة- طمأنةً لنفوسهم؛ لأن النفوس تركن إلى الصور المألوفة، كما قال الطبري.

وإلا فالكثرة لا تغني شيئا إلا أن ينصر الله، فإنما النصر من عند الله، الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم، كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٤-٦].

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ تنبيه أن لا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له، فهو مشيئة الله لنصر من يشاء من عباده، فإنه إن شاء نصر من معه الأسباب -كما هي سنته في خلقه- وإن شاء نصر المستضعفين الأذلين؛ ليبين لعباده أن الأمر كله بيديه، ومرجع الأمور إليه.

وأما ختم الآيات بـ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾؛ فللتذكير بأنه جل ثناؤه «العزيز» في انتقامه من أهل الكفر به، بأيدي أوليائه من أهل طاعته؛ فإنه سبحانه لا يمتنع عليه مخلوق، بل الخلق كلهم أذلاء مدبَّرون تحت تدبيره وقهره.. «الحكيم» في تدبيره لعباده المؤمنين على أعدائهم من أهل الكفر؛ لأن العزيز ينصر من يريد نصره، والحكيم يعلم من يستحق نصره وكيف يُعطاه، وله الحكمة في إدالة الكفار في بعض الأوقات على المسلمين إدالة غير مستقرة، قال تعالى:﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾.

فكأنه يقول: أبشروا أيها المؤمنون، بتدبيري لكم على أعدائكم، ونصري

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إياكم عليهم، إن أنتم أطعتموني فيما أمرتكم به، وصبرتم لجهاد عدوِّى وعدوِّكم[١].

المثال الثاني:

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٩-١٠].

ويبين سيد رحمه الله تعالى مقدار الواجب على المؤمنين وأنه الممكن فعله، فلا يستبْقوا من طاقتهم بقية، وأن يغالبوا الهزة الأولى التي أصابت بعضهم في مواجهة الخطر الواقعي، وأن يمضوا في طاعة أمر الله، واثقين بنصر الله.

وهنا ينتهي دورهم، وليست عليهم النتائج التي تكفل الله بها إذا أطاعوه، بل يجيء دور القدرة التي تصرّفهم وتدبرهم.. وما عدا هذا فكان بشارة مطَمْئِنة، وتثبيتاً للقلوب في مواجهة الخطر الواقعي.

وإنه ليكفي العصبة المؤمنةَ أن تشعر أن جند الله معها؛ لتطمئن قلوبها وتثبت في المعركة، ثم يجيء النصر من عند الله وحده، حيث لا يملك النصر غيره، وهو «العزيز» القادر الغالب على أمره، وهو «الحكيم» الذي يحل كل أمر محله[٢].ا.هـ.

---

(١) انظر: جامع البيان (ج٤/ ص١٠٨-١٠٩)، معالم التنزيل (ج١/ ص٥٠٣)، المحرر الوجيز (ج٢/ ص٣٤٩)، مدارك التنزيل (ص١٨٤)، تفسير القرآن العظيم (ج١/ ص٤٥٠)، تفسير الجلالين (ص٦٦)، جامع البيان للإيجي (ص١٦٠)، التحرير والتنوير (ج٤/ ص٧٧- ٧٨)، تيسير الكريم الرحمن (ص١٧٦).

(٢) في ظلال القرآن (ج٣/ ص١٤٨٤) بتصرف يسير.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المثال الثالث:

من الصور العظيمة لمعية الله سبحانه وتعالى لعباده: حادثة الغار، قال عز وجل: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[براءة:٤٠].

وفي الصحيحين[1] عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار!! فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه! فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين، اللهُ ثالثهما؟».

فانظر معية الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولصاحبه ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في ذلك، وحرصوا أشد الحرص، فألجؤوه إلى أن يخرج.

وكان ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ ﴾ أي: هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. ﴿ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ لمّا هربا من مكة، لجآ إلى غار ثور في أسفل مكة، فمكثا فيه ليبرد عنهما الطلب.

فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل اللّه عليهما من نصره ما لا يخطر على البال.

(١) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي (ح٣٦٥٣)، مسلم. كتاب فضائل الصحابة (ح٢٣٨١) واللفظ له.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

﴿ إِذْ يَقُولُ ﴾ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ لِصَٰحِبِهِۦ ﴾ أبي بكر رضي الله عنه لما حزن واشتد قلقه: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ بعونه ونصره وتأييده. ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ أي: الثبات والطمأنينة والسكون المثبتة للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه سكّنه وقال: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾.

﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ وهي الملائكة الكرام، الذين جعلهم اللّه حرسا له، ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ﴾ أي: الساقطة المخذولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين - في ظنهم - على قتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأخذه، حنقين عليه، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم اللّه ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا شيئا منه.

ونصر اللّه رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على قسمين:

* نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم: بأن يُتم اللّه لهم ما طلبوا وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم.

* والثاني: نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصْر اللّه إياه: أن يرد عنه عدوه، ويدافع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر اللّه رسوله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع[1].

وقد ذكر السعدي رحمه الله تعالى من فوائد هذه الآية -مما يتعلق بموضوعنا-:

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٥٤- ٤٥٥)، ومدارك التنزيل (ص ٤٣٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

١- فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة اللّه على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته.

٢- وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى -إذا نزل بالعبد- أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة[١].

المثال الرابع:

من أجمل صور معية الله للمؤمنين، مواساتهم حين يكسرهم عدوهم، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٢٣٩]، وهذا تعزية من الله لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما أصابهم من الجراح والقتل بأُحُد.

قال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي: ولا تضعفوا عن جهاد عدوكم وحربهم بسبب ما نالكم من عدوكم من القتل والقروح.. وأصل الوهن ضعف الذات، وهو هنا مجاز في خَوَر العزيمة، وضعف الإرادة، وانقلاب الرجاء يأساً، والشجاعة جبناً، واليقين شكاً.. ولذلك نُهوا عنه.

﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾: والحزن هو شدة الأسف البالغة حد الكآبة والانكسار، حتى يجزع الإنسان على ما أصابه من مصيبة.

والوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء، فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة، فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهي عن سببهما وهو الاعتقاد، كما ينهى أحد عن النسيان.

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٥٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فبيّن الله سبحانه لعباده أن: الحزن في القلوب والوهن على الأبدان زيادة مصيبة عليكم، وأعْون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبّروها وادفعوا عنها الحزن، وتصلبوا على قتال عدوكم.

ومنّ عليهم بنعمة، إذا تذكروها غُسل ما في قلوبهم من الوهن وما في أرواحهم من الحزن: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾، يعني: الظاهرُون عليهم، قال سيد: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾:

- عقيدتكم أعلى؛ فأنتم تسجدون لله وحده، وهم يسجدون لشيء من خلقه أو لبعض من خلقه!

- ومنهجكم أعلى؛ فأنتم تسيرون على منهج من صنع الله، وهم يسيرون على منهج من صنع خلق الله!

- ودوركم أعلى؛ فأنتم الأوصياء على هذه البشرية كلها، الهداة لهذه البشرية كلها، وهم شاردون عن النهج، ضالون عن الطريق.

- ومكانكم في الأرض أعلى؛ فلكم وراثة الأرض التي وعدكم الله بها، وهم إلى الفناء والنسيان صائرون.

فإن كنتم مؤمنين حقا فأنتم الأعلون. وإن كنتم مؤمنين حقا فلا تهنوا ولا تحزنوا. فإنما هي سنة الله أن تصابوا وتصيبوا، على أن تكون لكم العقبى بعد الجهاد والابتلاء والتمحيص. ا.هـ[1].

فذَكَرَ تعالى أنه لا يليق بهم الوهن والحزن وهم الأعلون في الإيمان ورجاءِ نصر الله وثوابه.

(١) في ظلال القرآن (ج١/ ص٤٨٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال الإمام الزهري رحمه الله: كثر في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم القتلُ والجراح، حتى خلص إلى كل امرئ منهم البأسُ، فأنزل الله عز وجل القرآن، فآسَى فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قومًا من المسلمين كانوا قبلهم من الأمم الماضية.

وقال الحسن رحمه الله تعالى في قوله: ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾، قال: إن يقتلوا منكم يوم أحد، فقد قتلتم منهم يوم بدر.

قال سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ من فرح وغم، وصحة وسقم، وغنى وفقر، والدُولة: الكَرّة، قال الشاعر:

فيـــومٌ علينـــا ويـــومٌ لنا ... ويومٌ نُســـاءُ ويومٌ نُســـرّ[1]

ولله در القائل:

يُراع الفتى للخَطْب تبدو صدورُه ... فيأسى، وفي عقباه يأتي ســـرورهُ

ألم تر أن الليـــل لما تراكمت ... دُجاه: بدا وجـــهُ الصباح ونورهُ

فلا تصحبنَّ اليأس إن كنت عالماً ... لبيباً؛ فإن الدهـــر شتّى أمـــورهُ[2]

فانظر كيف يواسيهم الله سبحانه وتعالى، وفي هذا ما يخفف على المؤمن لأواء الدنيا ومصائبها بلا شك.

---

(١) انظر: جامع البيان (ج ٤/ ص١٣٠-١٣٢) باختصار، معالم التنزيل (ج١/ ص٥١٣- ٥١٤)، المحرر الوجيز (ج٢ / ص٣٦٣)، الجامع لأحكام القرآن (ج٤/ ص٢١٣)، مدارك التنزيل (ص١٨٧)، تفسير القرآن العظيم (ج١/ ص٤٥٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج١/ ص٢٧٢)، تفسير الجلالين (ص٦٧)، جامع البيان لمعين الدين الإيجي (ص١٦٢)، التحرير والتنوير (ج٤/ ص٩٨)، تيسير الكريم الرحمن (ص١٨٠- ١٨١).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص ٧١٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

*** قصة تظهر معية الله لعبده المؤمن:**

هذا الحديث فيه معية الله لولي من أوليائه وهو الصحابي الجليل أبي بن كعب رضي الله عنه، أحوج ما كان إلى تثبيت الله ومعيته، فإنه قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه.

فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرآ، فحسّن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما، فسُقِطَ في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني، ضرب في صدري، ففِضْتُ عَرقاً وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فَرَقاً، فقال لي:

«يا أُبَيّ، أُرسِل إليّ أن: اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن: هوِّن على أمتي، فرد إلي الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن: هون على أمتي، فرد إلي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف...» الحديث[1].

ويرى ابن كثير في تفسيره أن ذلك هو سبب قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سورة البينة على أبي، ففي الصحيحين[2]من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبيّ بن كعب رضي الله عنه: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البينة:١] «قال: وسمّاني

(١) صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين (ح٨٢٠).

(٢) المسند (ج٥/ ص١٢٣)، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار (ح٣٨٠٩)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين (ح٧٩٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

لك؟ قال: «نعم» قال: فبكى.

ومن فوائد هذا الحديث: البكاء للسرور والفرح مما يبشَّر الإنسان به ويعطاه من معالي الأمور[١]. ففي المسند أنه قيل له: يا أبا المنذر، ففرحت بذلك؟ قال: وما يمنعني والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ ﴾ فلتفرحوا هو خير مما يجمعون».

قال ابن كثير: قرأها عليه قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار، لا قراءة تعلم واستذكار، والله أعلم[٢].

المطلب الثاني: الفرح بالنصر على الأعداء:

وهو من الفرح بمعية الله سبحانه وتعالى للمؤمنين؛ فإن المؤمنين يعلمون أنهم ربما واجهوا أعداءهم بعدد وعدة أقل منهم بكثير، ومع ذلك تدفعهم:

- الثقة بالله وبمعيته وبنصره.

- وما كتب لهم التاريخ من وقائع عظيمة كان الله فيها مع المؤمنين إذا أطاعوه واتقوا سخطه.

وقد ورد في الفرح بالنصر آيات عديدة، منها الأمثلة الآتية:

المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الروم:١-٥].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (ج٦/ ص٨٦).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (ج٧/ ص٦٢٢) ط. ابن الجوزي الدمام. في أول تفسير سورة البينة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان المسلمون يُحبون أن تَغلب الرومُ أهلُ الكتاب، وكان المشركون يحبون أن يَغلب أهلُ فارس؛ لأنهم أهل أوثان، قال: فذكروا ذلك لأبي بكر رضي الله عنه، فذكره أبو بكر للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أَمَا إِنَّهُمْ سَيُهْزَمُونَ»، قال: فذكر ذلك أبو بكر للمشركين، قال: فقالوا: أفنجعل بيننا وبينكم أجلا؛ فإن غلبوا كان لك كذا وكذا، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا؟، وقال: فجعلوا بينهم وبينه أجلا خمس سنين.

قال: فمضت فلم يُغلَبوا، قال: فذكر ذلك أبو بكر رضي الله عنه للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: «أَفَلا جَعَلْتَهُ دُونَ العَشْرِ» -قال سعيد: والبِضْع ما دون العشر- قال: فَغَلَبَ الروم، ثم غلبت، قال: فذلك قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ.. ﴾ قال: البضع: ما دون العشر، ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ.. ﴾ قال سفيان -هو الثوري-: فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر.

و سئل أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه عن ذلك، فقال: التقينا مع محمد رسول صلى الله عليه وآله وسلم ومشركي العرب، والتقت الروم وفارس، فنصرنا الله على مشركي العرب، ونصر الله أهل الكتاب على المجوس، ففرحنا بنصر الله إيانا على المشركين، وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ ﴾[1].

(١) انظر: جامع البيان (ج٢١/ ص٢١)، معالم التنزيل (ج٤/ ص٥٦٩- ٥٧١)، تفسير القرآن العظيم (ج٣/ ص١٧٨٧- ١٧٩٢)، لباب النقول في أسباب النزول (ص٣٧٤)، جامع الترمذي، كتاب التفسير (ح٣١٩٢) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ويبين الشيخ السعدي رحمه الله تعالى سبب ذلك الفرح رغم أن كلا الفريقين كفار، فيقول: يفرحون بانتصارهم على الفرس -وإن كان الجميع كفارا- ولكن بعض الشر أهون من بعض. ويحزن يومئذ المشركون.

ثم يبرز المعنى اللطيف لختم الآيات بهذين الاسمين العظيمين ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: بأن العزيز قهر بعزته الخلائق أجمعين، يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء.. وهو الرَّحيم بعباده المؤمنين حيث قيض لهم من الأسباب التي تسعدهم وتنصرهم ما لا يدخل في الحساب.

وربما كان من أسباب فرح المسلمين ما ذكره ابن عطية رحمه الله من محبة أن يغلب العدو الأصغر؛ لأنه أيسر مؤونة، ومتى غلب الأكبر كثر الخوف منه، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرجو أن يظهر شرع الله تعالى عز وجل الذي بعثه به، ويغلب الأمم، وفي المقابل كان كفار مكة يتمنون أن يرميه الله تعالى بمِلك يستأصله ويريحهم منه.

وأفاد ابن عاشور أن هذا التعاقب بين الدولتين في النصر كان تهيئة أسباب انتصار المسلمين على الفريقين إذا حاربوهم بعد ذلك لنشر دين الله في بلادهم، كما اقتضته حكمة الله، وقد أومأ إلى هذا قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾... وأضيف النصر إلى اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ للتنويه بذلك النصر، وأنه عناية لأجل المسلمين.

وزاد القرطبي عن النحاس قولاً ثالثاً، وهو أن فرحهم إنما كان لإنجاز وعد الله تعالى؛ إذ كان فيه دليل على النبوة؛ لأنه تبارك وتعالى أخبر بما يكون في بضع سنين فكان فيه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثم مال القرطبي إلى أن يكون سرورهم بالمجموع من ذلك:

١- فسُرّوا بظهورهم على عدوهم.

٢- وبظهور الروم أيضا.

٣- وبإنجاز وعد الله[١].

المثال الثاني:

من الآيات التي فيها الدعوة إلى الفرح والاستبشار بنصر الله قوله تعالى: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف:١٣].

فإن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالإيمان به وباليوم الآخر وبالجهاد في سبيله، ووعدهم على ذلك الجنة.

لكن فضل الله عظيم، وهو يعلم من تلك النفوس أنها تتعلق بشيء قريب في هذه الأرض، يناسب تركيبها البشري المحدود، وهو يستجيب لها فيبشرها بما قدّره في علمه المكنون من إظهار هذا الدين في الأرض، وتحقيق منهجه وهيمنته على الحياة في ذلك الجيل: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢].

فلا ريب -إذن- أن فرح المؤمن بمعية الله سبحانه وتعالى وبنصره على أعدائه من أعظم صور الفرح المحمود؛ فإنها مرتكزة على محبة الله في قلب المؤمن، وبالتالي محبة منهجه السماوي العظيم، والاستبشار بانتصاره، حتى ليشعر المؤمن أن انتصاره إنما هو بانتصار دينه الذي ارتضاه الله.

(١) انظر: المحرر الوجيز (ج٧/ ص٧)، التحرير والتنوير (ج٢١/ ص٤٧)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٤/ ص٩- ١٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص. ٨٩١).

(٢) في ظلال القرآن (ج٦/ ص٣٥٦٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثالث: الفرح بهلاك الظالمين:

وكما يفرح المؤمن بمعية الله له، فإن الله يعلِّمه أن يفرح بهلاك الظالمين ويستبشر بذلك، وهذه سُنة يهملها كثير من المسلمين، بل ربما وقع من بعضهم نقيض ذلك: ألا وهو الحزن على الظالمين إذا هلكوا أو أصيبوا؛ لأسباب ليس لها في ميزان الله قدر.

وفي هذا أمثلة من القرآن الكريم، أذكر منها:

المثال الأول:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٥].

قال البغوي رحمه الله تعالى: حمد الله نفسه على أن قطع دابرهم؛ لأنه نعمة على الرسل، فذكر الحمد لله تعليما لهم ولمن آمن بهم، أن يحمدوا الله على كفايته شر الظالمين، وليحمد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه ربهم إذا أهلك المكذبين[١].

فهو إيذان بوجوب الحمد لله -كما قال الزمخشري- عند هلاك الظلمة، وأنه من أجلّ النعم وأجزل القِسَم[٢].

---

(١) معالم التنزيل (ج٢/ ص١٢٤).
(٢) الكشاف (ج٢/ ص١٨)، مدارك التنزيل (ص٣٢٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والسبب في الفرح بهلاك الظالمين: ما يظهر من إكرام الله لأوليائه، وتطهير الأرض من ناشري الظلم في الناس.

قال السعدي: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ على ما قضاه وقدره، من هلاك المكذبين؛ فإن بذلك:

١- تتبين آياته.

٢- وإكرامه لأوليائه.

٣- وإهانته لأعدائه.

٤- وصدق ما جاءت به المرسلون.

ويقول سيد قطب: وهل يُحمد الله على نعمة أجلّ من نعمة تطهير الأرض من الظالمين، أو على رحمة أجلّ من رحمته لعباده بهذا التطهير؟!.هـ[١].

ففي الآية تنبيه -كما قال الطاهر بن عاشور- على أنه يحق الحمد لله عند هلاك الظلمة؛ لأن هلاكهم صلاح للناس، والصلاح أعظم النعم، وشكر النعمة واجب، وهذا الحمد شكر؛ لأنه مقابل نعمة.

وإنما كان هلاكهم صلاحا لأن الظلم تغيير للحقوق، وإبطال للعمل بالشريعة، فإذا تغير الحق والصلاح جاء الدمار والفوضى، وافتتن الناس في حياتهم، فإذا هلك الظالمون عاد العدل، وهو ميزان قوام العالم[٢].

المثال الثاني:

يقول الله عز وجل: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٣٢).

(٢) انظر: في ظلال القرآن (ج٢/ ص١٠٩٠)، التحرير والتنوير (ج٧/ ص٢٣٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

﴿تَخْشَوْنَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [براءة:١٣-١٥].

فقد جعل سبحانه وتعالى شفاء صدور المؤمنين جائزة ينالونها بجهادهم.. وذلك الداء الذي يشفيهم منه هو ما كان في قلوبهم عليهم من الحنق والغيظ عليهم بما كانوا ينالونهم به من الأذى والمكروه؛ لأن كل ما يهدّ من الكفر هو شفاء مِن هَمّ صدور المؤمنين.

ويرى مجاهد والسدي أن الله عنى بقوله: (ويشف صدور قوم مؤمنين): صدورَ خزاعة حلفاءِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وذلك أن قريشًا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعونتهم بَكرًا عليهم، فكانوا يَوَدُّون أن يؤذن لهم بقتالهم، فلما أمر الله بنقض عهود المشركين سُرّوا بذلك وفرحوا.

ورجح ابن كثير أن هذا عام في المؤمنين كلهم.

وهذا يدل على محبة اللّه لعباده المؤمنين واعتنائه بأحوالهم حتى إنه جعل -من جملة المقاصد الشرعية- شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم.[1] ا.هـ.

فكيف لا يفرح المؤمن بهلاك الظالمين وقد جعله الله مقصدا شرعيا، ودلالة على مكانة المؤمنين عند الله سبحانه وتعالى؟!.

(١) انظر: جامع البيان (ج١٠/ ص١٠٤- ١٠٥)، معالم التنزيل (ج٢/ ص٣٢٢)، المحرر الوجيز (ج٤/ ص٢٧٢- ٢٧٣)، الجامع لأحكام القرآن (ج٨/ ص٨٠)، مدارك التنزيل (ص ٤٢٨)، تفسير القرآن العظيم (ج٢/ ص١٠٤٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢/ ص١٣٦)، لباب النقول (ص٢٣٢)، جامع البيان للإيجي (ص٣٧٢)، التحرير والتنوير (ج١٠/ ص١٣٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٤٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المثال الثالث:

وفي هذا المثال يذكر الله لنا قصة امرأة مؤمنة فرحت بقرب العذاب على قوم من الكافرين، وهي سارة امرأة إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود:٦٩-٧١].

ذكر المفسرون في سبب ضحك سارة أقوالاً، لعل من أقواها قول قتادة رحمه الله: أنها ضحكت من أن قوم لوط في غَفْلة وقد جاءت رُسُل الله لهلاكهم.

وأيد هذا القولَ إمام المفسرين الطبري؛ بأنه ذُكر عقيب قولهم لإبراهيم: (لا تخف إنا أُرسِلنا إلى قوم لوط)، ولا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم: (لا تخف)، فيكون الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط.

ومال سيد رحمه الله إلى هذا الرأي وأن ضحكها كان ابتهاجاً بهلاك القوم الملوثين.

ويجعل الحافظ ابن كثير رحمه الله مجازاتها بالبشارة بالولد إنما كان لاستبشارها بهلاكهم؛ لكثرة فسادهم، وغِلَظ كفرهم وعنادهم[1].

(١) انظر: جامع البيان (ج١٢/ ص٨٢)، معالم التنزيل (ج٢/ ص٤٥٦)، المحرر الوجيز (ج٤/ ص٦١٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج٩/ ص٦٠)، مدارك التنزيل (ص٥٠٥)، تفسير القرآن العظيم (ج٢/ ص١١٦٣-١١٦٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢/ ص٢٠٤)، تفسير الجلالين (ص٢٢٩)، في ظلال القرآن (ج٤/ ص١٩١٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فهو يعدّ هذا الفرح حسنة أثيبت عليها سارة بهذا الثواب الكبير: البشارة بالولد بعد الإياس، ولاشك في ذلك؛ فإنه لم يكن ليدخل في أنواع الفرح المحمود إلا من أجل أن الله يرضاه ويثيب عليه، ولو لم يحمده الله لم يكن محموداً.

فتبين لنا مما سبق في هذا المبحث أن الفرح بمعية الله وبنصره و بهلاك الظالمين من الفرح المحمود الذي يثاب عليه العبد، والذي يدل على محبته لربه ولدينه، وعلى بغضه أعداءَ الله سبحانه وتعالى.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الخامس

فرح المؤمن بما ينال غيره من الخير

وهذه خصلة اتصف بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وظهرت جلية في نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، اتصف بها وحث عليها، فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» أي من الخير -كما في رواية خارج الصحيح- والخير كلمة جامعة تعم الطاعات والمباحات الدنيويه والأخروية، أفاده الحافظ ابن حجر[١]، وحب الشيء يقتضي الفرح بحصوله.

وقد يكون الإنسان سببا في فرح الناس بما يناله من خير وعكسه، قال ابن المقفع: «وليكن متواضعا ليُفرَح له بالخير ولا يُحسد عليه، وليكن قنِعاً لتقرَّ عينه بما أوتي، وليُسَرَّ للناس بالخير لئلا يؤذيه الحسد»[٢].

وليُعقد في ذلك المطالب الآتية:

المطلب الأول: الحزن على الضالين من الناس:

وفي هذا أمثلة:

المثال الأول:

مؤمن يس، قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ

(١) صحيح البخاري. كتاب الإيمان (ح١٣)، وصحيح مسلم. كتاب الإيمان (ح٤٥)، وانظر: فتح الباري (ج١/ ص٥٧).
(٢) الأدب الصغير ص٤٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

﴿ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ [يس:٢٠-٢٥].

قال ابن إسحاق -فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب-: فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنع عنه.. وقال قتادة: جعلوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: «اللهم اهد قومي، فإنهم لا يعلمون». فلم يزالوا به حتى أقعصوه وهو يقول كذلك، فقتلوه، رحمه الله.

﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾[يس:٢٦-٢٧] قال ابن عباس: نصح قومه في حياته وبعد مماته، وقال قتادة: لا تلقى المؤمن إلا ناصحا، لا تلقاه غاشا؛ لَمَّا عاين ما عاين من كرامة الله؛ ﴿ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ [يس:٢٦٢٧][(١)].

المثال الثاني:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساعيا في هداية الناس أعظم السعي، فكان يحزن ويأسف على المكذبين الضالين؛ شفقةً منه صلى الله عليه وسلم عليهم، ورحمة بهم، حتى يكاد يقتل نفسه ويهلكها حزنا وتلهفا ووجدا عليهم.. وهذا يدل على أنه يفرح ويسر بهداية المهتدين، فأرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (ج٦/ ص٥٧١- ٥٧٣) ط. دار طيبة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

قال ابن إسحاق: يعاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم: أي لا تفعل[١].

وقد تكرر هذا المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨]، وقال: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [النحل:١٢٧]، وقال: ﴿لَعَلَّكَ بَـٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣].

وهذا يصور مدى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاني من تكذيبهم، وهو يوقن بما ينتظرهم بعد التكذيب، فتذوب نفسه عليهم وهم أهله وعشيرته وقومه، ويضيق صدره.. قال قتادة: لعلك من الحرص على إيمانهم مخرج نفسك من جسدك، قال: ذلك البخع.

وهذه تسلية من الله لرسوله، صلوات الله وسلامه عليه، في عدم إيمان مَنْ لم يؤمن به من الكفار، فرَبُّه يرأف به، وينهنهه عن هذا الهم القاتل، ويهوِّن عليه الأمر، ويقول له: إن إيمانهم ليس مما كُلفتَ؛ ولو شئنا أن نكرههم عليه لأكرهناهم، ولأنزلنا من السماء آية قاهرة لا يملكون معها جدالاً ولا انصرافاً عن الإيمان.. فإن الله تعالى قال بعدها: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَـٰقُهُمۡ لَهَا خَـٰضِعِينَ﴾ أي: لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهرا، ولكنّا لا نفعل ذلك؛ لأنا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري[٢].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (ص٢٧١)، جامع البيان (١٧/ ٥٩٨) طبعة التركي، تيسير الكريم الرحمن (ص٤٧٠).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن (١٩/ ٣٣٠) طبعة التركي، تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٥) طبعة دار طيبة، في ظلال القرآن (٥/ ٢٥٨٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والمقصود من إيراد هذه الآيات وكلام علماء التفسير فيها: بيان حزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الناس حين يُعرضون عن دعوة الحق، ولا شك أن مقابله هو فرحه بهداية الناس ورجوعهم إلى الله سبحانه وتعالى، وأخبار ذلك كثيرة في استبشاره بإسلام ألد أعدائه عليه الصلاة والسلام، وفرحه بقبول الله توبةَ العصاة، كما سيرد في المطلب الآتي:

المطلب الثاني: الفرح بهداية الناس ونفعهم:

وهي الصورة المكملة لما في المطلب الأول، قال ابن عباس رضي الله عنهما: قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان٦٨]، ثم نزلت: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح فرحا قط أشد فرحا منه بها. وبـ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١][(١)].

وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

المثال الأول:

في قصة إسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، والتي يرويها خالد، ويروي موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين علم بقدومهم مسلمين، يقول:

«فأُخبر بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فسُرَّ بنا، فلبست من صالح

(١) مجمع الزوائد (ج١٠/ ص٣٢١ - ٣٢٢)، وقال الهيثمي رحمه الله: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثيابي، ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيني أخي -يعني الوليد بن الوليد- فقال: أسرعْ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُخبر بك فسُرّ بقدومك وهو ينتظركم، فأسرعنا المشي فاطّلعتُ عليه فما زال يتبسم إليَّ حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة، فرد علي السلام بوجهٍ طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحمد لله الذي هداك، قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يُسْلِمك إلا إلى خير)» وقال خالد: «وكان قدومنا في صفر سنة ثمان»[1].

وأظن القارئ لهذه القصة يلحظ تعجب خالد من سرور النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين استقبلهم، فإنهم أسلموا سنة ثمان للهجرة، وقد كانوا من أشد الناس عداوة ونكاية بالمسلمين، واستمروا على كفرهم أكثر من عشرين سنة.

ولهذا كرر خالد أربع مرات ما رآه من فرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقدومهم مسلمين:

١- «فأُخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسُرَّ بنا».

٢- «أسرعْ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُخبر بك فسُرّ بقدومك وهو ينتظركم».

٣- «فاطّلعتُ عليه فما زال يتبسم إليَّ».

٤- « فرد عليّ السلام بوجهٍ طلق»!!

فما نال هؤلاء الثلاثةَ من الخير العظيم بالإسلام شفع عند رسول الله لهم

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (ج٤/ ص٣٥١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فيما اقترفوه من قبل، وصدق الله العظيم إذ يقول له: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[الأنبياء:١٠٧].

المثال الثاني:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار». وفي المسند: يعوده وهو بالموت[١].

فرسول الله -صلى الله عليه وسلم- رعا له عهد خدمته، فسُرّ بإسلامه؛ حيث كانت صحبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نافعة له مباركة عليه. قاله ابن هبيرة رحمه الله[٢].

فهي صورة صادقة لحرص المؤمن على هداية أهله وأقاربه، وفرحه بإيمانهم، وحزنه -في مقابل ذلك- عليهم إذا ماتوا على الشرك.

إذن، فالفرح بما ينال الناس من الخير والهداية فرح محمود؛ لأنه يدل على أن هوى ذلك المؤمن موافق لما جاء الله به، وأن مشاعره أصبحت معبّدة لله سبحانه وتعالى حتى في فرحه وحزنه، مع ما يصيب قلب الذي يحب الخير للناس من السعادة التي لا يعرفها إلا من جرب خدمة الناس وإدخال السرور عليهم.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل (٣/ ٢٨٠)، وصحيح البخاري. كتاب الجنائز (ح١٣٥٦).
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٣٠٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أحب الناس إلى الله -عز و جل- أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دَينا، أو تطرد عنه جوعا.

ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً في مسجد المدينة.

ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غضبه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رخاء يوم القيامة.

ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ثبّت الله قدمه يوم تزول الأقدام»[1].

وهو حديث عظيم دال على فضل نفع الناس وإيصال الخير لهم، وأن من تعرض لذلك و فعله ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى كان قريبا من الله حبيبا إليه.

قال أفلاطون: إن إشراكنا غيرنا في مسراتنا يزيدنا إحساسا بتلك المسرات، وقال أرسطو: إننا في حبنا الخير لغيرنا وفي بحثنا عنه نجد لأنفسنا خيرا[2].

نسأل الله أن يجعلنا من عباده المقربين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) مجمع الزوائد (ج٨ / ص ٣٤٩) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الثلاثة وفيه سُكين بن سرّاج وهو ضعيف، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (ح١٧٦).

(٢) الشخصية، لمحمد عطية الأبراشي (ص٤٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثالث: استبشار الشهداء بإخوانهم السائرين على نهجهم:

ومن فرح المؤمن بما ينال غيره من الخير: استبشار الشهداء بإخوانهم الذين لم يستشهدوا بعد، وشوقهم لينالوا ما نالوه هم من الكرامة، يقول الله عز وجل عنهم:

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧١].

فالشهداء يفرحون بمن لم يلحق بهم من إخوانهم الذين لا زالوا في الدنيا وهم على نفس طريقهم من جهاد أعداء الله؛ لعلمهم بأنهم إن استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله إلى مثل الذي صاروا هم إليه، فهم لذلك مستبشرون بهم، فرحون أنهم إذا صاروا كذلك «لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»، يعني بذلك:

لا خوف عليهم؛ لأنهم قد أمنوا عقاب الله، وأيقنوا برضاه عنهم، فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا.

ولا هم يحزنون على ما خلَّفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها؛ للنعيم الذي صارُوا إليه.

واستبشارهم بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم، يستلزم كمال السرور، كما قال السعدي.

وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضا، وتبشير بعضهم بعضا[١].

إذن، ففرح المؤمن بما ينال غيره من الخير من الفرح المحمود، وهو علامة على سلامة الصدر من الأثرة والحسد.

وأخيرًا فقد مررنا في هذا الفصل برياض نضرة من آيات الله وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم كلها تذكر الفرح المحمود، وهو ما كان فرحاً مطلوبا شرعا؛ لما فيه من رضا الله سبحانه وتعالى ونفع الناس، وأن له صوراً كثيرة: منها فرح المؤمن بإيمانه وتقواه أقوالا وأفعالا واعتقادات، والفرح بالقرآن الكريم، ومنها فرح المؤمن بشعوره الصادق بمعية الله له وبنصره على أعدائه، وفرحه كذلك بهلاك الظالمين، ومنها فرح المؤمن بما ينال غيره من الخير.. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل فرحنا وحزننا ومشاعرنا كلها تابعة لمرضاته.

(١) انظر: جامع البيان (ج ٤/ ص ٢١٤- ٢٢٠)، معالم التنزيل (ج١/ ص٥٣٥- ٥٣٨)، المحرر الوجيز (ج٢/ ص٤٢٠ - ٤٢١)، الجامع لأحكام القرآن (ج٤/ ص٢٦٨)، تفسير القرآن العظيم (ج١/ ص٤٧٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج١/ ص٢٨٣)، تفسير الجلالين (ص٧٢)، جامع البيان للإيجي (ص١٧١)، التحرير والتنوير (ج٤/ ص١٦٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٣٩- ١٤٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الثاني

الفرح المذموم

ويشتمل على مباحث:

المبحث الأول

حقيقة الفرح المذموم والدافع عليه

المطلب الأول: حقيقة الفرح المذموم:

الفرح المذموم على لسان الشرع مبناه وقاعدته: الفرح بمخالفة أمر الله عز وجل، وهو فرح باطل بغير حق؛ لأن العبد يقابل نعم الله سبحانه وتعالى عليه بالمعصية والكفران، ثم لا يكفيه ذلك حتى ينحط لدرجة الفرح بمخالفة أمر خالقه ورازقه سبحانه.

وهذا الفرح هو الذي نزلت في أصحابه آيات التوبيخ والتقريع التي تصور لنا بعض مشاهد يوم القيامة، حيث يصيبهم الصغار والهوان، ومنها قول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [غافر:٧٥].

فالعذاب الذي أنتم فيه؛ بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا، بغير ما أُذن لكم به من الباطل والمعاصي، وبالعلوم التي خالفتم بها علوم الرسل، وبما كنتم تمرحون على عباد الله؛ بغيًا وعدوانًا وظلمًا وعصيانًا، والمرح: هو الأشر والبطر.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وهذا هو الفرح المذموم الموجب للعقاب، بخلاف الفرح الممدوح الذي قال الله فيه: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨]، وهو الفرح بالعلم النافع، والعمل الصالح.

ومن آثار فرحهم بالباطل - كما قال ابن عاشور رحمه الله تعالى- تطاولهم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن المرح بالباطل: استهزاؤهم بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴾ [المطففين:٣٠-٣١][(١)].

المطلب الثاني: الدافع على الفرح المذموم:

يتضح الدافع على الفرح المذموم في قول الله سبحانه وتعالى في أصحاب النار -أجارنا الله منها-: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الانشقاق:١٠-١٣].

قال المفسرون: يعني في الدنيا، باتباع هواه وركوب شهوته ومخالفته أمرَ الله.

ويضع ابن كثير يده على سر الداء، وأن الباعث على ذلك الفرح أنه لا يفكر في العواقب، ولا يخاف مما أمامه، ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته، فأعقبه ذلك الفرحُ اليسير: الحزنَ الطويل[(٢)].

---

(١) انظر: جامع البيان (ج٢٤/ ص٩٩)، المحرر الوجيز (ج٧/ ص٤٥٧)، تفسير القرآن العظيم (ج٤/ ص٢٠٤٩) وذكر أن الملائكة هي التي تقول لهم ذلك على وجه التوبيخ، التحرير والتنوير (ج٢٤/ ص٢٠٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٠٤٤).

(٢) انظر: جامع البيان (ج٣٠/ ص١٤٥)، معالم التنزيل (ج٥/ ص٢٢٩)، تفسير القرآن العظيم (ج٤/ ص٢٤٨١)، تيسير الكريم الرحمن (ص١٢٩٣)، في ظلال القرآن (ج٦/ ص٣٨٦٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وبهذا يظهر جليا أمور:

الأمر الأول: أثر الغفلة على سلوك الكافر:

إن الدافع على الفرح المذموم هو الغفلة عن الآخرة، وعدم التفكر في لقاء الله عز وجل، مما يُفقد الإنسان المعنى الحقيقي للحياة، فيعيش فيها عيشة البهائم، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾[محمد:١٢].

فهم يَتَمَتَّعُونَ في الدنيا وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم، وهم لاهون ساهون عما في غدٍ، لا يهتمون بالحل والحرمة، ولا بالقلة والكثرة، لا شكر ولا حمد.

وذلك أنهم وُكِلُوا إلى أنفسهم، فلم يتصفوا بصفات المروءة، ولا الصفات الإنسانية، بل نزلوا عنها دركات، وصاروا كالأنعام، التي لا عقل لها ولا فضل، بل جل همهم ومقصدهم التمتع بلذات الدنيا وشهواتها، فترى حركاتهم الظاهرة والباطنة دائرة حولها، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير والسعادة، ولهذا كانت النار مثوى لهم، أي: منزلا معدا، لا يخرجون منها، ولا يُفَتّر عنهم من عذابها.. فمعنى الكلام: أن الكافر يعيش عديم النظر والفهم، كما تعيش البهيمة.

قال البغوي: وقد قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع، ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾[1].

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٤/ ص٢١١)، المحرر الوجيز (ج٧ / ص٦٤٤ - ٦٤٥)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٦/ ص٢٠٠)، تفسير القرآن العظيم (ج٤/ ص٢١٤٠)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٤/ ص٨٩)، تفسير الجلالين (ص ٥٠٨)، جامع البيان للإيجي (ص٨٩٥)، التحرير والتنوير (ج٢٦ /

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الأمر الثاني: نصيب المؤمن ونصيب الكافر يوم القيامة:

ليس معنى ذلك أن المؤمنين لا يتمتعون بما أحل الله لهم من طيبات الأرض، قال سيد -رحمه الله-وهو يجلّي هذا المفهوم:

والذين آمنوا وعملوا الصالحات يتمتعون في الأرض أحياناً من أطيب المتاع، ولكن الموازنة هنا إنما تقوم بين النصيب الحقيقي الضخم للمؤمنين -وهو نصيبهم في الجنة- والنصيب الكلي للكافرين الذي لا نصيب لهم سواه.

ونصيب المؤمنين يتلقونه من يد الله في جنات تجري من تحتها الأنهار، متناسقاً في رفعته وكرامته مع الارتفاع المنطلق من الإيمان والصلاح.

ونصيب الذين كفروا متاع وأكل ﴿كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾، وهو تصوير زَرِيّ، يذهب بكل سمات الإنسان ومعالمه؛ ويلقي ظلال الأكل الحيواني الشره، والمتاع الحيواني الغليظ، بلا تذوق، وبلا تعفف عن جميل أو قبيح.. إنه المتاع الذي:

١- لا ضابط له من إرادة.

٢- ولا حارس عليه من تقوى.

٣- ولا رادع عنه من ضمير[١].

الأمر الثالث: الفرق بين تمتع المؤمن وتمتع الكافر:

إن الفارق الرئيسي بين الإنسان والحيوان: أن للإنسان إرادة وهدفاً وتصوراً خاصاً للحياة يقوم على أصولها الصحيحة المتلقاة من الله خالق الحياة.. فإذا

ص٨٩)، في ظلال القرآن (ج٦/ ص٣٢٩٠) تيسير الكريم الرحمن (ص١١٠٧).

(١) انظر: في ظلال القرآن (ج ٦/ ص ٣٢٩٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فقد هذا كله؛ فقَد أهم خصائص الإنسان المميزة لجنسه، وأهم المزايا التي من أجلها كرمه الله[١].

وقد استشهد الحافظ ابن كثير رحمه الله لمعنى الآية بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن يأكل في مِعىً واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: أطبق العلماء على حمل الحديث على غير ظاهره.ا.هـ.

والسبب في ذلك حديث عمرو بن دينار قال: كان أبو نَهيك[٢]رجلا أكولًا، فقال له ابن عمر رضي الله عنهما: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الكافر يأكل في سبعة أمعاء»، فقال أبو نَهيك رضي الله عنه: فأنا أومن بالله ورسوله[٣].

وإذا عرفنا سبب قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ظهر لنا معنى الحديث، وارتباطه بالآية الكريمة: ﴿ ...وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴾ [محمد:١٢].

ففي صحيح الإمام مسلم[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ضافه ضيف -وهو كافر- فأمر له رسول الله صلى الله

(١) انظر: في ظلال القرآن (ج ٦/ ص ٣٢٩٠).

(٢) صحابي أنصاري من بني عبد الأشهل، قال ابن عبد البر: لا أعرف له خبرا ولا رواية إلا – ثم ذكر له قصة –، وذكره ابن حجر، انظر الإصابة (ج٤ / ص١٩٩)، والاستيعاب (ج٤ / ص١٩٧).

(٣) فتح الباري (ج ٩ / ص ٥٣٧)، والحديث في صحيح البخاري كتاب الأطعمة (ح٥٣٩٣)، صحيح مسلم كتاب الأشربة (ح٢٠٦٠).

(٤) كتاب الأشربة (ح ٢٠٦٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عليه و سلم بشاةٍ فحُلبت، فشرب حِلابها، ثم أخرى فشربه، ثم أخرى فشربه، حتى شرب حِلاب سبع شياه.

ثم إنه أصبح فأسلم، فأمر له رسول الله صلى الله عليه و سلم بشاة فشرب حِلابها، ثم أمر بأخرى فلم يستتمها !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يشرب في مِعًى واحد، والكافر يشرب في سبعة أمعاء».

وذكر الحافظ ابن حجر أن هذا تكرر مع أكثر من رجل، ومن ضمن ما وجّه به الحديث: أن المؤمن يقل حرصه على الطعام؛ فيبارَك له فيه وفي مأكله، فيشبع من القليل.. والكافر طامح البصر إلى المأكل -كالأنعام- فلا يشبعه القليل؛ فمن شأن المؤمن التقلل من الأكل:

- لاشتغاله بأسباب العبادة.

- ولعلمه بأن مقصود الشرع من الأكل ما يسد الجوع، ويمسك الرمق، ويعين على العبادة.

- ولخشيته -أيضا- من حساب ما زاد على ذلك.

والكافر بخلاف ذلك كله: فإنه لا يقف مع مقصود الشرع، بل هو تابع لشهوة نفسه، مسترسل فيها، غير خائف من تبعات الحرام؛ فصار أكل المؤمن إذا نُسب إلى أكل الكافر كأنه بقدر السُبع منه[1].

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في آخر حديث طويل: «وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَنِعْمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ مَا أَعْطَى مِنْهُ

(١) انظر: فتح الباري (ج ٩ / ص ٥٣٨- ٥٤٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الْمِسْكِينَ وَالْيَتِيمَ وَابْنَ السَّبِيلِ[١] وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ وَيَكُونُ شَهِيدًا عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[٢].

وإذا أردنا أن ندخل في شيء من التفصيل في الحديث عن الفرح بمخالفة أمر الله عز وجل -الفرح الممقوت المذموم- فإننا سنجد منه صوراً كثيرة في القرآن، ومن هذه الصور ما يأتي في المباحث التالية[٣]:

(١) وفي رواية لمسلم: «فمن يأخذ مالًا بحقه يبارك له فيه».

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة (ح ١٤٦٥)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة (ح ١٠٥٢).

(٣) الحديث في هذا الفصل عن الفرح بما يذم لذاته، أما ما يذم لما يتعلق به من صفات مذمومة فسيُذكر إن شاء الله في الفصل الرابع.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

الفرح بالكفر -عياذاً بالله-

من صور الفرح المذموم: الفرح بالكفر، وهو أشنعها وأقبحها، وليس بعده لؤم ونكران لجميل نعم الله وفضله سبحانه وتعالى.. ويمكن توضيح هذه الصورة الشنيعة للفرح بالكفر من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الكفر:

الكفر في اللغة: السَّتر والتغطية، ولهذا فإن الكافر يطلق على الليل؛ لأنه يستر بظلمته كل شيء، وعلى البحر؛ لستره ما فيه، وعلى الزارع؛ لستره البذر بالتراب(١).

وهو في الاصطلاح: نقيض الإيمان، وهو ستر نعمة المنعم -سبحانه- بالجحود، أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم(٢).

المطلب الثاني: الدافع على الفرح بالكفر:

قال الله عز وجل: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل:١٠٦]، قال قتادة: أي من أتى الكفر على اختيار واستحباب.

(١) انظر: لسان العرب (ج ١٣ / ص ٨٥ - ٨٦) القاموس المحيط (ص ٦٠٥).
(٢) انظر: لسان العرب (ج١٣ / ص٨٤)، القاموس المحيط (ص ٦٠٥) معجم التعريفات (ص١٥٥)، التكفير وضوابطه. إبراهيم الرحيلي (ص٥٦ -٥٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والدافع لهم على الفرح بكفرهم بينته الآية التي تليها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النحل:١٠٧].

فحلّ بهؤلاء المشركين غضب الله، ووجب لهم العذاب العظيم؛

من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة، طمعا في شيء من حطام الدنيا، ورغبة فيه، وزهدا في خير الآخرة.

ولأنهم يجحدون آيات الله؛ والله لا يوفق الجاحدين الكافرين[1].

فلما اختاروا الكفر على الإيمان منعهم الله الهداية، فلم يهدهم؛ لأن الكفر وصْفُهم، فطبع على قلوبهم فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم ويصل إلى قلوبهم. فشملتهم الغفلة وأحاط بهم الخذلان، وحرموا رحمة الله التي وسعت كل شيء؛ وذلك أنها أتتهم فردُّوها، وعُرضت عليهم فلم يقبلوها، ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود:٢٢].

يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله: ﴿ٱسْتَحَبُّواْ﴾ مبالغة في (أحبوا) مثل: استأخر واستكان.. وضُمِّن ﴿ٱسْتَحَبُّواْ﴾ معنى (فَضّلوا) بحرف ﴿عَلَى﴾، أي: لأنهم قدّموا نفع الدنيا على نفع الآخرة؛ لأنهم قد استقر في قلوبهم أحقية الإسلام؛ وما رجعوا عنه إلا خوف الفتنة أو رغبة في رفاهية العيش، فيكون

(١) انظر: جامع البيان (ج١٤/ ص٢١٦)، معالم التنزيل (ج٣، ص٩٨، ٩٩)، المحرر الوجيز (ج٥/ ص٤١٥)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٠/ ص١٧٠)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣/ ص١٣١٣)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢/ ص٣٠٦)، تفسير الجلالين (ص٢٧٩)، جامع البيان للإيجي (ص٥١٨)، في ظلال القرآن (ج٤/ ص٢١٩٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦١٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كفرهم أشد من كفر المستصحبين للكفر من قبل البعثة.ا.هـ[١].

ذلك أن العقيدة -كما يقول سيد- لا يجوز أن تكون موضع مساومة وحساب للربح والخسارة.. ومتى آمن القلب بالله فلا يجوز أن يدخل عليه مؤثر من مؤثرات هذه الأرض؛ فللأرض حساب، وللعقيدة حساب، ولا يتداخلان.

وليست العقيدة هزلا، وليست صفقة قابلة للأخذ والرد، فهي أعلى من هذا وأعز. ومن ثَم كل هذا التغليظ في العقوبة، والتفظيع للجريمة[٢].

المطلب الثالث: من آثار الفرح بالكفر:

أولاً: الاشمئزاز عند ذكر التوحيد:

فهم يفرحون بشركهم، وتنقبض نفوسهم عند ذكر الإيمان والتوحيد، قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[الزمر:٤٥].

قال الزمخشري رحمه الله تعالى: ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز؛ إذ كل واحد منهما غاية في بابه، فالاستبشار: أن يمتلىء قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل.. والاشمئزاز: أن يمتلىء غمًّا وغيظاً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه.

والدافع لهذا الاستبشار هو كون الشرك موافقا لأهوائهم، فنسوا حق الله إلى هواهم فيها. وهذه الحال شر الحالات وأشنعها، كما قال السعدي رحمه الله.

والآية -كما يقول صاحب الظلال- تصف واقعة حال على عهد النبي

(١) التحرير والتنوير (ج١٤/ ص٢٩٢- ٢٩٥).
(٢) انظر: في ظلال القرآن (ج٤/ ص٢١٩٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

صلى الله عليه وسلم حين كان المشركون يهشون ويبشون إذا ذكرت آلهتهم، وينقبضون وينفرون إذا ذكرت كلمة التوحيد.. ولكنها تصف حالة نفسية تتكرر في شتى البيئات والأزمان، فمن الناس من تشمئز قلوبهم وتنقبض نفوسهم كلما دُعوا:

١- إلى الله وحده إلهاً.

٢- وإلى شريعة الله وحدها قانوناً.

٣- وإلى منهج الله وحده نظاماً.

حتى إذا ذُكرت المناهج الأرضية، والنظم الأرضية، والشرائع الأرضية؛ هشُّوا وبشوا ورحبوا بالحديث، وفتحوا صدورهم للأخذ والرد.

والجواب على هذا المسخ والانحراف والضلال هو ما لقنه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في مواجهة مثل هذه الحال: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر:٤٦][(٣)].

ثانياً: الرضا بمذاهبه الباطلة:

وأثره الخطير هو التمادي في الغي والباطل، وعدم الرجوع إلى الحق والصواب؛ لأن معيار التمييز بين النافع والضار مفقود، ولذلك فهم يفرحون بمذاهبهم الباطلة التي اخترعوها، واستبدلوها بشرع الله، والله سبحانه وتعالى يحث أولياءه من هذه الأمة المباركة على الإنابة إليه و الاعتصام بحبله سبحانه،

(٣) انظر: الكشاف (ج٤/ ص١٠٢)، مدارك التنزيل (ص١٠٤٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص١٠١٨)، في ظلال القرآن (ج٥/ ص٣٠٥٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ويحذرهم من مسلك الأمم السابقة فيقول سبحانه وتعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[الروم:٣١-٣٢].

فذكر حالة المشركين مُهَجِّناً لها ومُقبِّحا، فقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ مع أن الدين واحد، وهو: إخلاص العبادة للّه وحده. وهؤلاء المشركون فرقوه:

١- منهم من يعبد الأوثان والأصنام.

٢- ومنهم من يعبد الشمس والقمر.

٣- ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين.

٤- ومنهم يهود.

٥- ومنهم نصارى[١].

٦- ومنهم أهل البدع من هذه الأمة، كما عزاه ابن عطية والقرطبي لعائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما. غير أن ابن جُزَيّ رحمه الله استبعد هذا القول بسبب قوله تعالى ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

كل حزب[٢]وطائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا[٣] دينهم الحقّ، فأحدثوا البدع التي أحدثوا ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ من العلوم المخالفة لعلوم الرسل ﴿فَرِحُونَ﴾ راضون بما عندهم، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم.. فهم مفتونون

(١) واختار الطبري والبغوي أنهم اليهود والنصارى.

(٢) والحزب: الجماعة الذين رأيهم ونزعتهم واحدة، والشيع: جمع شيعة، وهي الجماعة التي تشايع –أي توافق– رأيا. انظر: التحرير والتنوير (ج ٢١/ ص٩٦).

(٣) فارقوا: على قراءة حمزة والكسائي، انظر: الجامع لأحكام القرآن (ج ١٤/ ص ٣٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بآرائهم، معجبون بضلالهم، وذلك أصيل فيهم؛ لأنهم لم يتبينوا الحق، وعليهم أن يتبينوه.

ولهذا قال: ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ أي: كل فرقة من فرق الشرك تألفت وتعصبت على نصر ما معها من الباطل ومنابذة غيرهم ومحاربتهم.

وهذه حالة ذميمة من أحوال أهل الشرك، وفي هذا تحذير للمسلمين من تشتتهم وتفرقهم فرقا، كل فريق يتعصب لما معه من حق وباطل، فيكونون مشابهين بذلك للمشركين في التفرق. بل الدين واحد، والرسول واحد، والإله واحد.

و يوجه الطاهر بن عاشور رحمه الله المسلمين -منطلقا من هذه الآية الكريمة- إلى أنهم إذا اختلفوا في أمور الدين الاختلافَ الذي يقتضيه اختلاف الاجتهاد، أو اختلفوا في الآراء والسياسات لاختلاف العوائد؛ فليحذروا أن يجرهم ذلك الاختلاف إلى أن يكونوا شيعا متعادين متفرقين يلعن بعضهم بعضا، ويذيق بعضهم بأس بعض[1].

ومثله قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣]. أمرهم الله بلزوم دينه، فتفرّقوا دينَهم بينهم كتبًا وضعوها، وضلالات ألفوها، كُلُّ حِزْبٍ بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب، فرحون معجبون به، لا يرون أن الحقّ سواه.

(١) انظر: جامع البيان (ج٢١/ ص٥١)، معالم التنزيل (ج٣/ ص٥٧٨)، المحرر الوجيز (ج٧/ ص٢٥)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٤/ ص٣٢)، تفسير القرآن العظيم (ج٣/ ص١٧٩٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٣/ ص٢٢٥)، تفسير الجلالين (ص٤٠٧)، جامع البيان للإيجي (ص٧٣٢)، التحرير والتنوير (ج٢١/ ص٩٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص٨٩٧- ٨٩٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

«ويُخرج التعبير القرآني المبدع هذا التنازعَ في صورة حسية عنيفة: لقد تنازعوا الأمر حتى مزقوه بينهم مزقاً، وقطعوه في أيديهم قطعاً. ثم مضى كل حزب بالمزقة التي خرجت في يده! مضى فرحاً لا يفكر في شيء، ولا يلتفت إلى شيء!!

مضى وأغلق على حسه جميع المنافذ التي تأتيه منها أية نسمة طليقة، أو يدخل منها أي شعاع مضيء! وعاش الجميع في هذه الغمرة مذهولين مشغولين بما هم فيه، مغمورين لا تنفذ إليهم نسمة محيية ولا شعاع منير» قاله سيد.

فالدافع لهم -إذن-على ذلك الفرح: ظنهم بأنهم مهتدون، وهذا غاية الضلال؛ لأن المرتاب بما عنده ينظر إلى طلب الحق، والمعنى أنهم فرحون بدينهم على غير دليل ولا تبصر، بل لمجرد العكوف على المعتاد، فهم لا يرضون على من يخالفهم ويعادونه، وذلك يفضي إلى التفرق والتخاذل بين الأمة الواحدة، وهو خلاف مراد الله، ولذلك ذيّل به قوله: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون:٥٢].

وقال مهددًا لهم ومتوعدًا: ﴿ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ ﴾ أي: في غيِّهم وضلالهم ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ أي: إلى حِين حَينهم وهلاكهم، كما قال تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق:١٧]، وقال تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٣][1].

(١) انظر: جامع البيان (ج١٨، ص٣٨- ٣٩)، معالم التنزيل (ج٣، ص٣٦٧)، المحرر الوجيز (ج٦/ ص٣٠١)، الجامع لأحكام القرآن (ج ١٢/ ص ١١٨)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣/ ص١٥٩٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٣/ ص ٩٨)، تفسير الجلالين (ص٣٤٥)، جامع البيان للإيجي (ص٦٣٥)، التحرير والتنوير (ج ١٨/ ص٧٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص٧٦٨)، في ظلال القرآن (ج ٤/ ص ٢٤٧١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ثالثاً: السعي في أن يكفر المسلمون:

فهؤلاء الكافرون لا يكتفون بكفرهم، حتى يكونوا أعوانا للشيطان في الفرح بمن يكفر مثلهم، والسعي في ذلك، خاصة من أهل الكتاب، قال الله عز وجل: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:١٠٩].

والآية الكريمة تذكر الدافع لهم على تمني كفر المسلمين، ويمكن أن نلاحظ ذلك في حسدهم لما عليه المسلمون من الهداية والنور، وأن أنفسهم الخبيثة هي التي حملتهم على تمني أن يكفر المسلمون، ولهذا «يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طَرَائق الكفار من أهل الكتاب، ويعْلِمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر، وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم»[(١)].

وهم يودون ذلك لدرجة أن طلب رضاهم لا يمكن إلا بأن يرتد المسلم عن دينه و يتبع كفرهم، قال عز وجل: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة:١٢٠].

فكانت طاعة المسلمين لأهل الكتاب غفلة عن عدوٍّ قد حذر الله منه،

(١) انظر: معالم التنزيل (ج١/ ص١٥٥)، المحرر الوجيز (ج١/ ص٣١٩- ٣٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج٢/ ص٦٩)، تفسير القرآن العظيم (ج١/ ص١٨١)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج١/ ص١٤٤)، تفسير الجلالين (ص١٧)، جامع البيان للإيجي (ص٦٤)، التحرير والتنوير (ج١/ ص٦٧٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص٦٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وحرماناً من وَلاية الله وحياطته ونصره ومعونته.. فدع أيها المسلم طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله سبحانه وتعالى[١].

ولا يخفى أن هذه الرغبة الشريرة في رِدة المسلمين هي مهمة الشيطان التي نذر حياته لها، وطلب من الله أن يُنظره في الدنيا لأجلها ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[ص:٧٩-٨٣].

ثم استعمل لتنفيذها جنودا من الكفار المعلنين بالكفر، كاليهود والنصارى، أو المبطنين الكفرَ، كالمنافقين.

رابعاً: الاستهزاء بالمسلمين:

فهم ينتهزون أدنى فرصة للاستهزاء بهم والضحك منهم ومن منهجهم، إنهم يضحكون على المسلمين بمجرد تمسكهم بدينهم؛ استخفافاً بالحق الذي هداهم الله إليه، فكيف إذا أصابت المسلمين مصيبة؟!

يقول الله عز وجل ذاكراً يوم القيامة حين يتوسل إليه الكفار والمنافقون بأن يغفر لهم: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾[المؤمنون:١٠٨-١١٠].

أي: أنكم سخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إليّ، حَتَّى حملكم بغضهم

(١) انظر: معالم التنزيل (ج ١/ ص ١٦١)، المحرر الوجيز (ج ١/ ص ٣٣٦ - ٣٣٧)،الجامع لأحكام القرآن (ج ٢/ ص ٩١)، تفسير القرآن العظيم (ج ١/ ص ١٩٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ١/ ص ١٤٩)، تفسير الجلالين (ص ١٩)، جامع البيان لمعين الدين الإيجي (ص ٦٧)، التحريروالتنوير (ج ١/ ص ٦٩٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

على أن نَسِيتم معاملتي، فتعدّى شؤم استهزائهم بالمؤمنين إلى استيلاء الكفر على قلوبهم، وَكُنْتُمْ من صنيعهم وعبادتهم تضحكون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[المطففين:٢٩-٣٠].

وكان لهذا الاستهزاء بالمؤمنين أثر خطير على مصير أولئك المجرمين، إنه أنساهم ذكر الله والمصير المحتوم الذي يصيرون إليه.

والسعدي رحمه الله يرى أن **الاستهزاء دافع وأثر**، فيقول: وهذا الذي أوجب لهم نسيان الذكر، اشتغالهم بالاستهزاء بهم، كما أن نسيانهم للذكر، يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخر، فهل فوق هذه الجراءة جراءة؟!(١).

فخلاصة هذا المبحث: أن الفرح بالكفر الذي هو نقيض الإيمان، وهو ستر نعمة المنعم -سبحانه- بالجحود، أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم: هو أشنع أنواع الفرح المذموم، وأن الدافع له هو إيثار الآخرة على الدنيا، وأن له آثاراً خطيرة، منها الاشمئزاز عند ذكر التوحيد، والرضا بمذاهب الكفر الباطلة، و السعي في أن يكفر المسلمون. أعاذنا الله من الكفر والكافرين.

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٣/ ص٣٧٧)، المحرر الوجيز (ج٦/ ص٣٢٤)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٢/ ص١٣٩)، تفسير القرآن العظيم (ج٣/ ص١٦٠٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٣/ ص١٠٧)، تفسير الجلالين (ص٣٤٩)، جامع البيان للإيجي (ص٦٤١)، التحرير والتنوير (ج١٨/ ص١٢٩)، تيسير الكريم الرحمن (ص٧٧٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

الفرح بالنفاق

المطلب الأول: تعريف النفاق:

النفاق في اللغة: مأخوذ من النفَق، وهو سَرَب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر.. أو من النافقاء، وهو إحدى جِحَرة اليربوع، يكتمها ويُظهر غيرها، فإذا أُتي من قبل الموضع الظاهر -وهو القاصعاء -ضرب النافقاء برأسه.

فيقال: هكذا يفعل المنافق: يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه.

وفي الاصطلاح: النفاق اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص له، وهو ستر الكفر وكتمانه بالقلب، وإظهار الإيمان باللسان[1].

المطلب الثاني: من صور الفرح بالنفاق:

الفرح بالنفاق يظهر في الفرح بأعمال واعتقادات تصدر من المنافقين، ومن صوره هذان المثالان:

المثال الأول:

الفرح بالتخلف عن مناصرة الحق، ومواجهة أهل الباطل، وهو فرح المنافق بما يظنه حذقاً وذكاءً حين يُظهر خلاف ما يُبطن، ويرى أنه استطاع أن يخدع

(١) انظر: لسان العرب (ج١٤/ ص٣٢٦- ٣٢٧)، القاموس المحيط (ص١١٩٦)، معجم التعريفات (ص٢٠٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المسلمين، ويخادع الله !! وإنما يخدع نفسه ويوردها المهالك.

وهذا ما يؤكده قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٨٨].

والمقصود بهم -على أحد قولَي المفسرين- قومٌ من أهل النفاق كانوا يقعدون خِلافَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا غزا العدو، وفرحوا بمقعدهم ذلك، فإذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتذروا إليه، ويفرحون بذلك، ويرون أنها حيلة احتالوا بها.وأحبّوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا. قاله أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وابن زيد وغيرهما[١].

المثال الثاني:

هو القول الثاني في معنى الآية السابقة، قال ابن كثير: يعني بذلك المرائين المتكثرين بما لم يُعْطَوا، كما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «... من ادَّعَى دَعْوى كاذبة لِيتكَثَّر بها لم يَزِدْه الله إلا قِلَّة» [٢] وفي الصحيح: «المتشبع بما لم يُعْطَ كلابس ثَوْبَي زُور»[٣].

فهؤلاء جمعوا بين:

(١) حديث أبي سعيد في صحيح البخاري في التفسير (ح٤٥٦٧)، ومسلم في صفات المنافقين (ح٢٧٧٧)، وانظر: جامع البيان (ج٤، ص ٨٧)، معالم التنزيل (ج١، ص٥٥٣)، المحرر الوجيز (ج ٢/ ص ٤٤١)، تفسير القرآن العظيم(ج ١، ص ٤٨٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، (ح١١٠) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه، ولم أجده في البخاري.

(٣) رواه البخاري في كتاب النكاح (ح٥٢١٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة (ح٢١٢٩) من حديث أسماء رضي الله عنها.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- فعل الشر وقوله.

- والفرح بذلك.

- ومحبة أن يحمدوا على فعل الخير الذي ما فعلوه.. إنه نموذج من نماذج البشرية يقتات الجبن والادعاء[١].

المطلب الثالث: من آثار الفرح بالنفاق:

للفرح بالنفاق آثار سلبية وسيئة، يذكر القرآن منها:

أولاً: الحرص على كفر المسلمين:

وهذا الأثر ظاهر في تصرفاتهم التي فضحها قولُ الله تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء:٨٩].

فهم يودون للمسلمين الضلالة ليستووا هم وإياهم في الكفر والنفاق؛ وما ذاك إلا لشدة عداوتهم وبغضهم للمسلمين، وهذا كشف من الله لخبث معتقدهم، وتحذير للمسلمين من الاغترار بهم فكأن الآية تقول: وأنتم ترجون هدايتهم، وهم يرجون ضلالكم !! فقد تباعدتم في المذاهب، وتباينتم في المقاصد.

إنهم -كما قال سيد- قد كفروا وهم لا يريدون أن يقفوا عند هذا الحد، فالذي يكفر لا يستريح لوجود الإيمان في الأرض ووجود المؤمنين، ولا بد له من عمل وسعي، ولا بد له من جهد وكيد لرد المسلمين إلى الكفر؛ ليكونوا كلهم

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (ج١/ ص٤٨٨)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٩٦)، في ظلال القرآن (ج١/ ص٥٤٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

سواء.

والقرآن يلمس مشاعر المؤمنين لمسة قوية مفزعة لهم، وهو يقول لهم: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ ﴾، والصحابة بالذات كانوا حديثي عهد بتذوق حلاوة الإيمان بعد مرارة الكفر، وبالنقلة الضخمة التي يجدونها في أنفسهم، بين مشاعرهم ومستواهم ومجتمعهم في الجاهلية، ثم في الإسلام.

ومن ثم يتكئ المنهج القرآني على هذه الحقيقة، فيوجه إليهم الأمر في لحظة التوفز والتحفز والانتباه للخطر البشع الفظيع الذي يتهددهم من قِبَل هؤلاء: ﴿ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴾[1].

ثانياً: الفرح بمصائب المسلمين:

فإنه لا يتصور أن يفرح بمصائب المسلمين إلا عدوهم، وأعداؤنا في الخارج هم الكفار المعلنون بالكفر، وفي الداخل المنافقون الذين ينخرون في جسد هذه الأمة، ويعينون أعداءها عليها، ويفرحون بما يصيبها من شر.

* قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [آل عمران:١٢٠].

قال قتادة: فإذا رأوا من أهل الإسلام أُلفة وجماعة وظهورًا على عدوهم؛ غاظهم ذلك وساءهم، وإذا رأوا من أهل الإسلام فُرقة واختلافًا، أو أصيب طرف

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (ج١، ص٥٩٧)، جامع البيان للإيجي (ص ٢٠٨)، في ظلال القرآن (ج٢/ ص٧٣٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص٢٣٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

من أطراف المسلمين؛ سرَّهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به.

وقال الربيع: هم المنافقون.. ويرجح ابن عطية أنهم منافقو اليهود، ونسبه القرطبي للأكثر.

وانظر كيف أظهر الله تعالى شدة عداوتهم وحسدهم للمسلمين في قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ﴾، يقول الإمام ابن عطية رحمه الله:

«وذكر تعالى المسّ في الحسنة؛ ليبين أن بأدنى طروء الحسنة تقع المساءة بنفوس هؤلاء المبغضين، ثم عادل ذلك بالسيئة بلفظ الإصابة، وهي عبارة عن التمكن؛ لأن الشيء المصيب لشيء فهو متمكن منه أو فيه.. فدلّ هذا المنزع البليغ على شدة العداوة؛ إذ هو حقد لا يذهب عند الشدائد، بل يفرحون بنزول الشدائد بالمؤمنين، وهكذا في عداوة الحسد في الأغلب، ولا سيما في مثل هذا الأمر الجسيم (من الجهاد[1]) الذي هو مِلاك الدنيا والآخرة، وقد قال الشاعر:

كل العداوة قـــــد ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسدِ[2]

فهي العداوة الشديدة -إذن- تحملهم على تحين نازلةٍ تنزل بالمسلمين حتى يتندروا بهم ويفرحوا بمصابهم.

* ولإفساد فرحهم علمنا الله ما نقول لهم وما نكنّه في صدورنا، قال الله

(١) زيادة من الجامع لأحكام القرآن (ج٤/ ص ١٧٩)

(٢) انظر: جامع البيان (ج٤/ ص٨٨)، المحرر الوجيز (ج٢/ ص٣٣٤ - ٣٣٥)، الجامع لأحكام القرآن (ج٤/ ص١٧٨ - ١٧٩)، تفسير القرآن العظيم (ج١/ ص٤٤٧)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج١/ ص٢٦٩)، تفسير الجلالين (ص٦٥)، جامع البيان للإيجي (ص١٥٩)، التحرير والتنوير (ج٤/ ص٦٨)، تيسير الكريم الرحمن (ص ١٧٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تعالى: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ [التوبة:٥٠]. مسرورون بما نالك من الهزيمة.

فأمر الله نبيه أن يرد على المنافقين ويفسد عليهم فرحهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[التوبة:٥١].. فيُعْلمهم أن الشيء الذي يعتقدونه مصيبة ليس كما اعتقدوه، بل الجميع مما قد كتبه الله عز وجل للمؤمنين:

- فإما أن يكون ظفرا وسرورا في الدنيا
- وإما أن نُقتل فتكون الشهادة ذخرا للآخرة.

فيُثبت المسلمون -بتلقين الله إياهم -عدم اكتراثهم بالمصيبة، وانتفاء حزنهم عليها؛ لأنهم يعلمون أن ما أصابهم ما كان إلا بتقدير الله لمصلحة المسلمين في ذلك، فهو نفع محض كما تدل عليه تعدية فعل (كتب) باللام المؤذنة بأنه كتب ذلك لنفعهم.

يقول الطاهر بن عاشور: إن موقع هذا الجواب هو أن العدو يفرح بمصاب عدوه؛ لأنه ينكد عدوه ويحزنه، فإذا علموا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يحزن لما أصابه؛ زال فرحهم[1].

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٢/ ص ٣٥٦)، المحرر الوجيز (ج٤/ ص٣٢٩)، الجامع لأحكام القرآن (ج٨/ ص١٤٤ - ١٤٥)، تفسير القرآن العظيم (ج٢/ ص١٠٦٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢/ ص١٤٦)، تفسير الجلالين (ص١٩٥)، جامع البيان للإيجي (ص٣٨٣)، التحرير والتنوير (ج١٠/ ص٢٢٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٤٥٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تعوّذ المسلم من شماتة الأعداء:

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتعوذ من جَهد البلاء، ودرَك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».

وشماتة الأعداء هي فرح العدو ببلية تنزل بعدوه.. وقد ذكر الحافظ أن شماتة الأعداء تدخل في عموم كل واحدة من الثلاثة، ثم كل واحدة من الثلاثة مستقلة؛ فإن كل أمر يكره يلاحظ فيه:

- جهة المبدأ: وهو سوء القضاء.

-وجهة المعاد: وهو درك الشقاء؛ لأن شقاء الآخرة هو الشقاء الحقيقي.

- وجهة المعاش: وهو جهد البلاء.

وأما شماتة الأعداء فتقع لكل من وقع له كل من الخصال الثلاثة.ا.هـ. [1]

المطلب الرابع: سمات المنافق عند علماء النفس:

يرى علماء النفس أن لشخصية المنافق سمات يعرف بها، وعلامات تدل عليه: فلشخصية المنافق دوافع تنطلق منها، ولابد أنها كُبتت عن أمر كانت تريده؛ فاتجهت لإبطان ما لا تظهره وتحيُّن الفرص للنيل من أعدائها، أو بالأصح: من اختارت عداوتهم ولم يختاروا هم ذلك.

ويشخص الدكتور أحمد عزت راجح بعض هذه السمات بقوله: لا تصبح الدوافع والصدمات الانفعالية المكبوتة عديمةَ الأثر في الحياة النفسية من جراء

(١) الحديث في البخاري، كتاب الدعوات (ح ٦٣٤٧)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء (ح ٢٧٠٧)، وانظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (ج١٧/ ص ٣١)، فتح الباري (ج١١ / ص ١٤٩)، الشخصية، د/ سعد رياض (ص ١٠٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

كبتها، بل تظل في حالة استعداد لا شعوري، مكونة ما يعرف بالعقد النفسية، تواصل ضغطها وتلح جاهدة في الظهور والتعبير عن نفسها على الدوام.

والعقدة: مجموعة مركبة من:

* ذكريات.
* أو رغبات.
* أو عواطف وأحداث مكبوتة مشحونة بشحنة انفعالية قوية من:
- الذعر.
- أو الغضب.
- أو الاشمئزاز.
- أو الغيرة.
- أو الإحساس الخفي بالذنب.

والعقدة: استعداد مكبوت يقسر الفرد على ضروب شاذة من السلوك الظاهر والشعور والتفكير نحو شخص، أو شيء، أو موقف، أو فكرة.. ويتسم السلوك الصادر عنها بما يتسم به السلوك الصادر عن الدوافع المكبوتة.

ويقرر كذلك أن: المشاهَد المعروف أننا ننفعل حين تعاق دوافعنا، أي يعطل السلوك الصادر عنها عن بلوغ هدفه[١].

ويوضح الدكتور سعد رياض - وهو يعدد أنواع الشخصيات وكيفية التعامل مع كل نوع منها-الشخصية المضادة للمجتمع (الشخص السيكوباتي)[٢]: أي

(١) أصول علم النفس (ص١٤٦- ١٥٥).

(٢) من التعريفات الشائعة أن: السيكوباتية حالة مرضية تظهر بشكل سلوك اندفاعي متهور ومتكرر

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

صاحب الشخصية التي تُظهر غير ما تبطن، وهي -كذلك- الشخصية المضادة للمجتمع، أي التي تقوم بأعمال منافية لقيم المجتمع الصحيح.

وفيما يلي أهم خصائص الشخصية المنافقة:

- أقل ما يقال عنه: إنه مجرم.

- لا يوجد لديه ضمير.

- يتعدى تعديا صارخا على القانون والأخلاق.

- وهو صاحب مصلحة، لذا فهو ينسف بمن يشاركه في تجارة أو في غيرها، بل حتى من يحسن إليه.

- وهو متهور في أغلب تصرفاته.

- وهو مراوغ وكذاب وانتهازي.

و خلاصته أنه يتعامل مع كل أفراد المجتمع على أنهم أعداؤه[1].

وفئة من الناس تحمل هذه الصفات التدميرية؛ حَرِيّة بأن يُكثر القرآن الكريم من ذكرها وفضح ألاعيبها وتحذير المسلمين منها.

والخلاصة: أن الفرح بالنفاق -الذي هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر- هو فرح المنافق بخداعه ومراوغته للمسلمين بنفس دافع الكفار لكفرهم، ألا وهو إيثار الدنيا على الآخرة، وأن من آثار ذلك حرص المنافقين على ارتداد المسلمين عن دينهم ليستووا معهم في الضلال، وأن هذه الشخصية أقرب شيء

يستهجنه المجتمع أو يعاقب عليه، دون أن يكون لذلك علاقة بالضعف العقلي أو بمرض عصابي أو ذهاني أو بحالة صرع أو بمرض عصبي. (الشخصية السيكوباتية، إعداد الأستاذة / أ. علي راجح بركات (ص ٥)).

(١) الشخصية، أنواعها، أمراضها، وفن التعامل معها، د/ سعد رياض (ص ١١٥ - ١١٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

إليها مما ذكره علماء النفس هي الشخصية السيكوباتية، وأن في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر لكثير من صفاتهم، وتحذير للمسلمين من أمرين:

الأول: من مكر المنافقين

والثاني: من الاتصاف بصفاتهم.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الرابع

الفرح بالمعصية

ومن أنواع الفرح المذموم: الفرح بمعصية الله سبحانه وتعالى.. و السؤال الذي يرِد في أول هذا المبحث: هل يفرح مؤمن بمعصية الله؟ والجواب في المطالب الآتية:

المطلب الأول: أثر المعصية على نفس المؤمن:

إن المؤمن ليس معصوماً من الوقوع في المعصية، غير أنه لا يهدأ له بال حين يعصي ربه؛ ذلك لأنه يخاف لقاء الله، ويحمل هم الموقف العظيم بين يديه عز وجل، وقد سبق أن أوردنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سأله رجل: ما الإيمان؟ قال: «إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك؛ فإنك مؤمن»[1].

فالمؤمن يحب الطاعة بما جعل الله في قلبه من حبها، ويكره المعصية بما جعل في قلبه من كرهها، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ... وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات:٧].

﴿ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ فجعله أحب الأديان إليكم، وحسّنه ﴿ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ حتى اخترتموه، وتطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) مسند الإمام أحمد (ج٥/ ص٢٥٢) والمستدرك على الصحيحين (ج١/ ص١٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه، ووافقه الذهبي.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال السعدي: والله تعالى يحبب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم:

- بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره.

- وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة الدالة على صحته، وقبول القلوب والفِطَر له.

- وبما يفعله تعالى بكم، من توفيقه للإنابة إليه.

ويكرِّه إليكم الكفر والفسوق، أي: الذنوب الكبار، والعصيان: هي ما دون ذلك من الذنوب:

- بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر، وعدم إرادة فعله.

- وبما نصبه من الأدلة والشواهد على فساده، وعدم قبول الفِطَر له.

وقال الحسن رحمه الله: حبب الإيمان بما وصف من الثواب عليه، وكرّه الثلاثة المقابلة للإيمان بما وصف من العقاب عليها.

و﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ الذين زين الله الإيمان في قلوبهم، وحببه إليهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان: ﴿ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ المهتدون، الذين صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم[1].

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يحبب الله الإيمان في قلبه في أشد المواقف صعوبة، فعن عبيد بن رفاعة الزرقي، عن أبيه قال: لما كان يوم أحُد وانكفأ المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استووا حتى أثني على ربي»، فصاروا خلفه صفوفًا، فقال:

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٤/ ص٢٥٨)، المحرر الوجيز (ج٨ /ص١٢)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٦/ ص٢٦٦)، تفسير القرآن العظيم (ج٤/ ص٢١٧٥)، تفسير الجلالين (ص٥١٦)، التحرير والتنوير (ج٢٦/ ص٢٣٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص١١٢٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

«اللهم لك الحمد كله. اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مُضل لمن هديت. ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت. ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت...» إلى أن قال: «اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين...» الحديث[١].

وضد الراشدين الغاوون، الذين حبب إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان.. والذنب ذنبهم؛ فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم، ولما ﴿زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾، ولما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة، قلب الله أفئدتهم[٢].

إذن، ففرح العبد بالمعصية إذا وقع فيها؛ علامة على ضعف إيمانه، وأن قلبه مدخول، إما بالكبر وإما بالنفاق، وكلاهما مُرْدٍ مُهلك، وفي المطلبين الآتيين بيان ذلك.

المطلب الثاني: الفرح بالمعصية بدافع النفاق:

يقول الله تعالى عن المنافقين: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [التوبة:٨١-٨٢].

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (ج ٣ / ص ٤٢٤) وهو في صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري (ح ٦٩٩)، والمستدرك (ج٣/ ص٢٣) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والألباني في صحيح الأدب المفرد، وقال الأرنؤوط في تحقيق المسند (ج٢٤ / ص ٢٤٧): رجاله ثقات.

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص ١١٢٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم بالنَّفْر إلى جهاد أعداء الله، فخالفوا أمْرَه وجلسوا في منازلهم.. و(خِلاف) كما قال الطبري: مفعول لأجله، ففرحهم كان بسبب خلافهم أمرَه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هُزُوًا ولعبًا. يقول الله تبارك وتعالى:(فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) في الدنيا (وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) في النار.. قال البغوي: تقديره: فليضحكوا قليلا فسيبكون كثيرا؛ ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾.

ويعقد العلامة السعدي مقارنة بين المنافق إذا وقع في المعصية وبين المؤمن إذا وقع فيها، بأن المنافقين يتبجحون بتخلفهم وعدم مبالاتهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، وعلى اختيار الكفر عليه، وهذا قدر زائد على مجرد التخلف، فإن هذا تخلف محرم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به.

وهذا بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا -ولو لعذر- حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللّه، لما في قلوبهم من الإيمان، ولما يرجون من فضل اللّه وإحسانه وبره وامتنانه.ا.هـ بتصرف يسير.

ويُظهر سيد رحمه الله تعالى الدافع لهم إلى ذلك بأن هؤلاء الذين أدركتهم ثقلة الأرض والحرص على الراحة، والشح بالنفقة، وقعد بهم ضعف الهمة وهزال النخوة، وخواء القلب من الإيمان.. هؤلاء المخلَّفون[1]فرحوا بالسلامة والراحة خلاف رسول الله، وتركوا المجاهدين يلاقون الحر والجهد، وحسبوا

(١) والتعبير يلقي ظل الإهمال كما لو كانوا متاعاً يخلَّف أو هملًا يُترك. سيد قطب.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

أن السلامة غاية يحرص عليها الرجال! ﴿وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّ﴾ وهي قولة المسترخي الناعم الذي لا يصلح لشيء مما يصلح له الرجال.

*** فرح المنافق وحزن المؤمن:**

قال ابن عاشور رحمه الله: ففرحهم دال على نفاقهم؛ لأنهم لو كانوا مؤمنين لكان التخلف نكدا عليهم ونغصاً، كما وقع للثلاثة الذين خُلفوا فتاب الله عليهم[(١)].

والثلاثة الذين خُلِّفوا هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهم، وقد رواها كعب مطولة وهي في الصحيحين [(٢)]، وذكر فيها تسويفه الخروجَ مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة حتى فاته الخروج معهم.

قال كعب بن مالك رضي الله عنه: « وهممت أن أرتحل فأدركهم -وليتني فعلت- فلم يُقَدَّر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطُفتُ فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء».

---

(١) انظر: جامع البيان (ج١٠/ ص٢٢٥- ٢٢٧)، معالم التنزيل (ج٢/ ص٣٧٥)، المحرر الوجيز (ج٤/ ص٣٧٥)، الجامع لأحكام القرآن (ج٨/ ص١٩٧)، تفسير القرآن العظيم (ج٢/ ص١٠٨٣-١٠٨٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢/ ص١٥٣)، تفسير الجلالين (ص٢٠٠)، جامع البيان للإيجي (ص٣٩٠)، التحرير والتنوير (ج١٠ / ص٢٨٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص٤٦٧)، في ظلال القرآن (ج/ ص١٦٨٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري كتاب المغازي (ح٤٤١٨)، وصحيح مسلم كتاب التوبة (ح ٢٧٦٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فانظر تندّمه، مع أن الله قد غفر له، أنه لم يرتحل، وحزنه أنه لم يشاركه في التخلف إلا أحد رجلين: منافق أو معذور.

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واعترف له كعب وصاحباه بأن تخلفهم لم يكن لعذر مقبول - خلافا لما فعله المنافقون من الكذب على رسول الله - أدّبهم بالهجر، قال كعب:

«ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا -أيها الثلاثة -من بين من تخلف عنه، فاجتنبَنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسلم عليه -وهو في مجلسه بعد الصلاة- فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام علَيَّ أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليّ، وإذا التفتّ نحوه أعرض عني.

حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس؛ مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة -وهو ابن عمي وأحب الناس إلي- فسلمت عليه، فو الله ما رد علي السلام !! فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار»[1].

الله أكبر! صاحباه قعدا في البيت يبكيان، وهو يحاول كسر حصار الهجر

(١) المصدران السابقان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

باسترضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتذرف عيناه الدمع على ما بدر منه وما عوقب به، هذا واللهِ رجل سرته حسنته وساءته سيئته.

ثم قال كعب في أمر رسول الله الثلاثةَ أن يهجروا نساءهم: « فجاءت امرأة هلال بن أمية رسولَ الله صلى الله عليه و سلم فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: (لا ولكن لا يقربك). قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا»[1].

قف مليًّا عند حزنهم لذنبهم، ثم قف طويلا عند فرحهم بتوبة الله عليهم بعد خمسين يوماً، قال كعب:

«حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحُبتْ؛ سمعت صوت صارخ أوفَى على جبل سَلْعٍ بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج.

وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَل صاحِبَيّ مبشرون، وركض إليّ رجل فرساً، وسعى ساعٍ من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه -والله ما أملك غيرهما يومئذ -واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول

(١) المصدران السابقان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الله صلى الله عليه وسلم، فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة، يقولون: لتهنك توبة الله عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه و سلم قال رسول الله وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: «لا، بل من عند الله». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه.

فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك».....» إلى آخر الحديث[١].

ومدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يومذاك كأنها في يوم عيد، والجميع فرح مستبشر بتوبة الله على الثلاثة: رسولُ الله، والصحابة الذين تسابقوا إلى تبشيرهم وتهنئتهم، والثلاثة الذين تيب عليهم من باب أولى:

- لقد سجد بمجرد سماع البشارة.
- وأعطى ثوبيه اللذَين لا يملك في ذلك الوقت غيرهما للذي بشّره.
- وأسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
- وأراد أن يتصدق بكل ماله تعبيرا عن فرحه بتوبة الله عليه.

(١) المصدران السابقان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فأين هذا من الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله؟!

المطلب الثالث: الفرح بالمعصية بدافع الكبر:

ولابد من بيان ثلاثة أمور:

الأمر الأول: تعريف الكبر:

الكبر: احتقار الناس وردّ الحق، كما صح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر».

قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال. الكبر: بطَر الحق و غمْط الناس»(١).

وبطر الحق: هو دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا، وغمط الناس معناه احتقارهم، قاله النووي رحمه الله (٢).

الأمر الثاني: الدافع على الكبر:

وإنما ينتج الكبر من الغرور والعجب، وقد حذر الله عباده من ذلك في موطنين من القرآن الكريم، فقال في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[الإسراء:٧٣].

قال ابن عطية رحمه الله: و«مرَحاً» بفتح الراء مصدر مِن مَرِحَ يمرَح إذا تبختر مسروراً بدنياه مقبلاً على راحته، فهذا هو المرح، فنهي الإنسان في هذه الآية أن يكون مشيه في الأرض على هذا الوجه.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (ح ٩١).

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم (ج٢ / ص٩٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقال القرطبي: هذا نهيٌ عن الخيلاء وأمْرٌ بالتواضع.

والمرح: شدة الفرح. وقيل: التكبر في المشى. وقيل: تجاوز الانسان قدره. وقال قتادة: هو الخيلاء في المشى. وقيل: هو البطر والأشر. وقيل: هو النشاط..

وهذه الأقوال متقاربة[1]، ولكنها منقسمة قسمين: أحدهما مذموم والآخر محمود، فالتكبر والبطر والخيلاء وتجاوز الانسان قدره؛ مذمومة، والفرح والنشاط محمودان.

ومعنى الآية أنك بقدرتك لا تبلغ هذا المبلغ، بل أنت عبد ذليل، محاط بك من تحتك ومن فوقك، و المحاط محصور ضعيف، فلا يليق بك التكبر.. وأنشدوا:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قومٌ هموا منك أرفعُ

وإن كنت في عز وحرز ومنعةٍ فكم مات من قوم هموا منك أمنعُ

ونبه الطبري رحمه الله إلى أن الله سبحانه يعرّف عباده بذلك أنهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئا لا يصل إليه غيرهم.

الأمر الثالث: سبب حرمة الكبر:

في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:٧٣] تهكم بالمتكبر، قاله الإيجي رحمه الله، وبين ابن عاشور أن المقصود من التهكم التشنيع بهذا الفعل، فدل ذلك على أن المنهي عنه حرام؛ لأنه:

١ - فساد في خُلق صاحبه.

(١) قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: المرح: شدة ازدهاء المرء وفرحه بحاله في عظمة الرزق. التحريروالتنوير (ج ١٥/ ص ١٠٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- وسوء في نيته.

٣- وإهانة للناس بإظهار التفوق عليهم.

٤- و إرهابهم بقوته[١].

ومما يذكر من الأخبار في ذلك ما أورده الإمام ابن أبي الدنيا رحمه الله عن أبي بكر الهذلي قال: بينما نحن مع الحسن، إذ مَر عليه ابن الأهتم - يريد المنصور -وعليه جبَابُ خَزّ قد نُضّد بعضها فوق بعض على ساقه، وانفرج عنها قَباؤه، وهو يمشي ويتبختر.

إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال: أف أف، شامخ بأنفه، ثانٍ عطفه، مصعِّر خدَّه، ينظر في عطفيه، أيّ حُمَيْق ينظر في عطفه في نِعَم غير مشكورة ولا مذكورة، غير المأخوذ بأمر الله فيها، ولا المؤدّى حقّ الله منها! والله إنْ يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلُج المجنون، في كل عضو منه نعمة، وللشيطان به لعنة.

فسمعه ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه، فقال: لا تعتذر إلي، وتب إلى ربك، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[الإسراء:٧٣].

ورأى العمريّ العابدُ رجلاً من آل عليّ يمشي يخطِر، فأسرع إليه فأخذ بيده فقال: يا هذا، إن الذي أكرمك الله عز وجل به لم تكن هذه مشيته! قال: فتركها

(١) انظر: جامع البيان (ج١٥/ ص١٠٢- ١٠٣) معالم التنزيل (ج٣/ ص١٣٣)، المحرر الوجيز (ج٥/ ص٤٨٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٠/ ص٢٢٧ - ٢٢٨)، تفسير القرآن العظيم (ج٣/ ص١٣٦٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢/ ص٣٢٩)، تفسير الجلالين (ص٢٨٥)، جامع البيان للإيجي (ص٥٢٩)، التحرير والتنوير (ج١٥/ ص١٠٣- ١٠٤)، تيسير الكريم الرحمن (ص٦٣٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الرجل بعد[١].

وقد حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من التبختر في المشي والإعجاب بالنفس أشد التحذير، كما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: «بينما رجل يتبختر يمشي في بُرديه، قد أعجبته نفسه؛ فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة»[٢].

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله[٣]: وإعجاب الرجل بنفسه: هو ملاحظته لها بعين الكمال والاستحسان مع نسيان مِنّة الله تعالى، فإنْ رفعها على الغير واحتقره، فهو الكبر المذموم[٤].

فالكبر والعجب خلقان يبغضهما الله، وهو دال على فرح العبد بما يفعله حلالا كان أم حراماً، قال سبحانه وتعالى في ذكر وصية لقمان رحمه الله لابنه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان:١٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ يقول: لا تتكبر فتحقِرَ عبادَ الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك، قال ابن كثير: ولكن ألِنْ جانبك، وابسط وجهك إليهم، كما جاء في الحديث: «ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه مُنْبَسِط، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المِخيلَة، والمخيلة لا يحبها

(١) كتاب الخمول والتواضع، ضمن موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا (ج٣/ ص٥٨٠ - ٥٨٢).
(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس (ح٥٧٨٩)، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة (ح ٢٠٨٨) واللفظ له.
(٣) هو أبو العبَّاس أحمَدُ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ، الأنصاريُّ القرطبيُّ، شيخ القرطبي صاحب التفسير (تـ٦٥٦هـ) رحمه الله.
(٤) المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (ج٥ / ص ٤٠٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الله»[١].

وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: جذلا متكبرًا جبارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك؛ يبغضك الله. قاله ابن كثير رحمه الله تعالى.. ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختال معجب في نفسه، فخور: أي على غيره[٢].

وهكذا نخلص إلى أن الفرح بمعصية الله فرح قبيح مذموم، وأنه لا يصدر من إنسان ينتسب إلى الإسلام إلا بأحد دافعَين: إما النفاق، وإما الكبر، وكلاهما داء مهلك، ومسقط للعبد من نظر الله سبحانه وتعالى.

ولا شك أن أثر ذلك على العبد سيكون وخيما، فإنه إذا فرح بمعصيته تمادى فيها، ولم يخطر بباله أن يتوب منها، كيف وهو لا يرى نفسه إلا كاملا بهذه المعصية؟ فنعوذ بالله من الخذلان.

وقد أظهرت لنا الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة صورا من الفرح المذموم الذي يبغضه الله سبحانه وتعالى، وهو الفرح المذموم لذاته.. وأن الدافع النفسي له هو إيثار الدنيا على الآخرة، وأنه أنواع كثيرة يجمعها:

الفرح بالكفر -عياذاً بالله -، والذي من آثاره: الاشمئزاز عند ذكر التوحيد، والرضا بمذاهب الكفر الباطلة، والسعي في أن يكفر المسلمون.

١- الفرح بالنفاق، وآثاره قريبة من آثار الفرح بالكفر.

---

(١) مسند الإمام أحمد (ج٥/ ص ٦٣) من حديث جابر بن سليم الهجيمي مرفوعاً.

(٢) انظر: معالم التنزيل (ج٣/ ص٥٨٩)، المحرر الوجيز (ج٧/ ص٥٢)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٤/ ص٦٥)، تفسير القرآن العظيم (ج٣/ ص١٨١١)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٣/ ص٢٣٣)، الإكليل في استنباط التنزيل (ص٥٠٨ - ٥٠٩)، تفسير الجلالين (ص٤١٢)، جامع البيان للإيجي (ص٧٣٩)، التحرير والتنوير (ج٢١/ ص١٦٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص٩٠٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- الفرح بالمعصية إما بدافع النفاق، وإما بدافع الكبر.

٣- و أما الفرح الذي يكون محمودا في حال ومذموما في حال فهو الفرح المباح لذاته، وسيُفرَد له الفصل التالي بإذن الله تعالى.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الفصل الثالث

الفرح المباح

وفيه مباحث:

المبحث الأول

الفرح بالدنيا

ظهر من الفصلين السابقين أن من الفرح ما هو محمود لذاته؛ لأنه فرح بما يرضي الله سبحانه وتعالى، وأن منه ما هو مذموم لذاته؛ لأنه فرح بمخالفة أمر الله عز وجل.

بيد أن من الفرح فرحاً لا يمكن أن نذمه مطلقا، ولا أن نمدحه مطلقاً؛ ذلك أنه فرح لا يتعلق بالحكم الشرعي لذاته، أعني بالحل والحرمة، وإنما هو من الفرح الذي جُبل عليه الإنسان حين ينال نعمةً، أو حين تندفع عنه نقمة.

وهو فرح مباح ولا شك، غير أنه قد يتعلق بمحبوبٍ لله فيصير فرحا محمودا، وقد يتعلق بما يبغضه الله فيصير فرحا مذموما. وهذا الفرح -إذا أردنا أن نجعل له ضابطا يجمع شتاته - قلنا: إنه الفرح بمتاع الدنيا.

ومع أن الدنيا لم تكد تذكر في القرآن الكريم إلا مذمومة، إلا أن الآيات التي يذم فيها الفرح بالدنيا يلاحظ أن فيها إشارة:

١- إلى دافعٍ نفسيّ مكروه عند الله.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- أو إلى أثر سلوكي منحرف يبغضه الله.

ويمكن إيضاح هذا من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: ضابط[١] ذم الفرح بالدنيا:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ [الرعد:٢٦].

فاستجهلهم الله وبيّن نقصان عقولهم حين فرحوا بما بُسط لهم في الدنيا، على كفرهم ومعاصيهم، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم.

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: ولمّا كان المقصود الأول من هذا الكلام تعليم المسلمين؛ كان الكلام موجها إليهم، وجيء في جانب الكافرين بضمير الغيبة (وَفَرِحُوا) إشارة إلى أنهم أقل من أن يفهموا هذه الدقائق؛ لعنجهية نفوسهم.ا.هـ.

ويشير الإمام البغوي رحمه الله بالوصف إلى أن الفرح بالدنيا يحرم إذا كان دافعه الأشر والبطر، فيقول: ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ يعني: مشركي مكة أَشروا وبَطَروا، والفرح: لذة في القلب بِنَيْل المشتهى، وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا حرام.

ويرى القرطبي أن في الآيات تقديما وتأخيرا، فيقول رابطا بينها وبين ما سبق من الآيات: إنهم فرحوا بالدنيا ولم يعرفوا غيرها، وجهلوا ما عند الله، وهو معطوف على ﴿ .. وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ .. ﴾ [الرعد٢٥]. والتقدير: والذين ينقضون

(١) الضابط: حكم كليّ ينطبق على جزئياته (المعجم الوسيط ص ٥٣٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض وفرحوا بالحياة الدنيا. ا.هـ.

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴾ فجميع ما أعطِي هؤلاء في الدنيا من السَّعة وبُسِط لهم فيها من الرزق ورغد العيش بالإضافة إلى الآخرة: متاع ذاهب مضمحل، وشيء حقير ذاهب، يستمتع به قليلاً ثم يفنى، وهذه حقيقة المتاع: ما يتمتع به مما لا يبقى، قال الشاعر:

تمتَّعْ يا مُشَعَّثُ إنّ شيئاً ... سبقت به المماتَ هو المتاعُ

قال عبد الرحمن بن سابط[1] رحمه الله: كزاد الرّاعي يُزوِّده أهله الكفّ من التمر، أو الشيء من الدقيق، أو الشيء يشرَبُ عليه اللبن.

فالآية -إذن- تشير إلى ذم الفرح بالدنيا إذا كان سيُلهِي عن الآخرة، ولذا -والله أعلم- جاءت المقارنة فيها بين الدنيا والآخرة، فهم فرحوا بالدنيا -كما قال السعدي- فرحا أوجب لهم أن يطمئنوا بها، ويغفلوا عن الآخرة.. فالذم في فرحهم لأنهم فرحوا بالحياة الدنيا ومتاعها الزائل، فلم يتطلعوا إلى الآخرة ونعيمها المقيم.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: حقّر الحياة الدنيا بالنسبة إلى ما ادّخره تعالى لعباده المؤمنين في الدار الآخرة فقال: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴾ كما قال: ﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧]، وقال: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ١٦-١٧]. ا.هـ[2].

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن سابِط الجُمحي المكي، تابعي ثقة كثير الحديث والإرسال، (ت: ١١٨هـ)، انظر: تهذيب التهذيب (ج ٣ / ص٣٦٤)، وتقريب التهذيب (ص٣٦٢).

(٢) انظر: جامع البيان (ج١٣/ ص١٧٢)، معالم التنزيل (ج٣/ ص٢٠)، المحرر الوجيز (ج٥/ ص٢٠٢)،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وعن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فلينظر بم ترجع؟» وأشار بالسبابة[١].

وفي الحديث الآخر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بِجَدْيٍ أسكَّ ميتٍ -والأسك الصغير الأذنين- فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسكّ، فكيف وهو ميت؟! فقال: «فوالله لَلدنيا أهون على الله من هذا عليكم»[٢].ا.هـ.

فنخلص مما سبق إلى أن الفرح بالدنيا إنما صار مذموما إذا كان ينسي الآخرة، وكان فرحا مشوبا بأشر وبطر؛ وإنما صار مذموماً لأن صاحبه رضي بالدنيا رضاً زهّده في الآخرة حتى غفل عنها وعن آيات الله، لاطمئنانه إلى الدنيا، وقد عرفنا في المقدمات أن من معاني الفرح الرضا.. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨].

الجامع لأحكام القرآن (ج٩/ ص٢٦٧)، تفسير القرآن العظيم (ج٢/ ص١٢٢٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢/ ص٢٥١)، تفسير الجلالين (ص٢٥٢)، جامع البيان للإيجي (ص٤٧٦)، التحرير والتنوير (ج١٣/ ص١٣٤)، تيسير الكريم الرحمن (ص٥٧٢)، في ظلال القرآن (ج٤/ ص٢٠٥٩).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل (ج٤/ ص٢٢٩)، صحيح مسلم، كتاب الجنة ونعيمها (ح٢٨٥٨).

(٢) رواه مسلم. كتاب الزهد والرقائق. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (ح٢٩٥٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثاني: ضابط جواز الفرح بالدنيا[١]:

وما دام الفرح بالدنيا دائرا بين الحل والحرمة، فلا بد من ضابط نعرف به متى يكون الفرح بالدنيا مباحا؛ حتى لا يتجاوز العبد حده في ذلك؛ فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة هو أوعى لحفظها، وأدعى لضبطها، كما قال الزركشي رحمه الله[٢].. وبيان ذلك في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: ميزان الفرح والحزن في آية:

بينت آية الحديد ذلك الضابط في قول الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[الحديد:٢٢-٢٤].

فكل مصيبة من خير أو شر -واللفظ كما قال سيد: على إطلاقه اللغوي لا يختص بخير ولا بِشَرّ- تقع في الأرض كلها وفي أنفس البشر أو المخاطبين منهم يومها، هي في ذلك الكتاب الأزلي من قبل ظهور الأرض وظهور الأنفس في صورتها التي ظهرت بها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنه أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾.

---

(١) انظر فيما ورد في هذا المطلب: جامع البيان (ج٢٧/ ص٢٧٣)، معالم التنزيل (ج٥/ ص٣٢)، المحرر الوجيز (ج٨/ ص٢٣٧)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٧/ ص٢٢٠)، تفسير القرآن العظيم (ج٤/ ص٢٢٨٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٤/ ص١٨٨)، تفسير الجلالين (ص٥٤٠)، جامع البيان للإيجي (ص٩٥١)، التحرير والتنوير (ج٢٧/ ص٤١١)، تيسير الكريم الرحمن (ص١١٨٦)، في ظلال القرآن (ج٦/ ص٣٤٩٣).

(٢) انظر: المنثور في القواعد (ج١ ص٦٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ من الدنيا، فلم تدركوه منها ﴿ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ منها، فالله سبحانه أعلمكم بذلك ليكون سببَ تسليمكم وقلة اكتراثكم بأمر الدنيا، فلا تحزنوا على ما فات، ولا تفرحوا الفرح المُبطِر بما آتاكم منها، وهذا يدل على أن الفرح المنهي عنه إنما هو ما أدى إلى الاختيال، أما الفرح بنعم الله المقترن بالشكر والتواضع فأمر لا يستطيع أحد دفعه عن نفسه ولا حرج فيه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما -وهو يضبط الفرح والحزن بضابط محكم-: ليس أحد إلا يحزن ويفرح، ولكن من أصابته مصيبة فجعلها صبرا، ومن أصابه خير فجعله شكرا[1].

وقال تلميذه عكرمة: ليس أحدٌ إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكرًا، والحزنَ صبرًا.

المسألة الثانية: محل الفرح والحزن:

ومجال الأسى والفرح هو النفس، وقد وضح الطاهر بن عاشور رحمه الله تعالى الدافع على ضبط النفس عند الفرح والحزن بأن: من أيقَنَ أن ما عنده من نعمة دنيوية مفقود يوماً لا محالة؛ لم يتفاقم جزعه عند فقده؛ لأنه قد وطّن نفسه على ذلك، وقد أخذ هذا المعنى كُثّير في قوله:

فقلت لها: يا عـــزّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطِّنت -يوماً- لها النفس ذَلّتِ

والمعنى: أخبرتكم بذلك لتكونوا حكماء بُصراء فتعلموا أن لجميع ذلك أسباباً وعللاً، وأن للعالم نظاماً مرتبطاً بعضه ببعض، وأن الآثار حاصلة عقب

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (ج٢ / ص ٤٧٩) وصححه ووافقه الذهبي.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

مؤثراتها لا محالة.

فإذا رسخ ذلك في علم أحد لم يحزن على ما فاته مما لا يستطيع دفعه، ولم يغفل عن ترقب زوال ما يسره إذا كان مما يسره، ومن لم يتخلق بخلُق الإسلام يتخبطْ في الجزع إذا أصابه مصاب، ويُستطار خُيلاء وتطاولاً إذا ناله أمر محبوب، فيخرج عن الحكمة في الحالين.

والمقصود من هذا التنبيهُ على أن المفرحات صائرة إلى زوال وأن زوالها مصيبة. ا.هـ.

وقال ابن المقفع: «وعلى العاقل أن لا يحزن على شيء فاته من الدنيا أو تولى، وأن ينزل ما أصابه من ذلك ثم انقطع عنه منزلة ما لم يصب، وينزل ما طلب من ذلك ولم يدركه منزلة ما لم يطلب، ولا يدع حظه من السرور بما أقبل منها، ولا يبلغن ذلك سكرا ولا طغيانا؛ فإن مع السكر النسيان، ومع الطغيان التهاون، ومن نسي وتهاون خسر»[1].

المسألة الثالثة: أثر ضبط النفس بما دلت عليه آية الحديد:

يكشف سيد رحمه الله تعالى عن أثر هذه الحقيقة على النفس بأنه حين يستقر في تصور الإنسان وشعوره:

* أنه هو والأحداث التي تمر به، وتمر بغيره، والأرض كلها؛ ذرات في جسم كبير هو هذا الوجود.

* وأن هذه الذرات كائنة في موضعها في التصميم الكامل الدقيق، لازم بعضها لبعض.

(١) الأدب الصغير (ص١٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

* وأن ذلك كله مقدر مرسوم معلوم في علم الله المكنون.

حين يستقر هذا في تصوره وشعوره؛ فإنه يمضي مع قدر الله في طواعية وفي رضى، رضى العارف المدرك أن ما هو كائن هو الذي ينبغي أن يكون. ا.هـ.

غير أنه يعود بعد دراسة واقع أكثر الناس فيعترف بأن: هذه درجة قد لا يستطيعها إلا القليلون، فأما سائر المؤمنين فالمطلوب منهم ألا يخرجهم الألم للضراء، ولا الفرح بالسراء عن دائرة التوجه الى الله، وذِكره بهذه وبتلك، والاعتدال في الفرح والحزن.ا.هـ.

وقد أدرك هذا الحكماء قديما وحديثا، فكانت حياتهم مطمئنة هادئة مهما أصابهم فيها من لأواء أو سراء:

- قال الربيع بن صالح: لما أُخذ سعيد ابن جبير رضي الله عنه بكيت، فقال: ما يبكيك؟ قلت: أبكي لما أرى بك ولما تذهب إليه. قال: فلا تبكِ؛ فإنه كان في علم الله أن يكون، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ الآية.

- وقيل لبُزُرْجمهر[1]: أيها الحكيم! مالك لا تحزن على ما فات، ولا تفرح بما هو آت؟ قال: لأن الفائت لا يُتلافَى بالعَبرة، والآتي لا يستدام بالحَبْرة.

- وقال الفضيل بن عياض في هذا المعنى: الدنيا مبيد ومفيد، فما أباد فلا رجعة له، وما أفاد آذن بالرحيل.

(١) هو بزرجمهر بن البختكان، حكيم فارسي، كان وزير أنوشروان ملك الفرس، وهو الذي قص تاريخ انتساخ كتاب كليلة ودمنة وترجمته من كتب الهند، (عبدالسلام هارون في التعليق على البيان والتبين للجاحظ (ج١/ ص٢٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المسألة الرابعة: الفرح والحزن المنهي عنهما:

قال القرطبي رحمه الله: والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يُتَعدى فيهما إلى مالا يجوز، قال الله تعالى: (وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ) ا.هـ.

ولاحِظ تحوُّل الفرح المباح إلى فرح مذموم؛ بسبب الأثر السلوكي السيئ الناشئ عن الفرح بالدنيا مع نسيان الآخرة.. قال ابن كثير: أي: لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم؛ فإن ذلك ليس بسعيكم ولا كدّكم، وإنما هو عن قدَر الله ورزقه لكم، فلا تتخذوا نعم الله أشرًا وبطرًا، تفخرون بها على الناس؛ ولهذا قال: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾.

فهم كما قال ابن جرير:

- يبخلون بإخراج حق الله الذي أوجبه عليهم فيه، ويشِحُّون به.
- وهم -مع بخلهم به أيضا- يأمرون الناس بالبخل.

وقوله:(وَمَنْ يَتَوَلَّ) بأن يُدْبِرْ، وإدبارُه:

بالإعراض عن عظة الله، وترك العمل بما دعاه إليه من الإنفاق في سبيله

- وبالفرح بما أوتي من الدنيا، مختالا به فخوراً.
- وبالبخل.

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ الغنيّ عن ماله ونفقته، وعن غيره من سائر خلقه.. الحميد إلى خلقه بما أنعم به عليهم من نعمه.

فلما كانت آثار الفرح بالدنيا فخرا وبخلا ودعوة إلى البخل؛ صار الفرح المباح فرحا مذموما ممقوتا.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ورحم الله جعفر بن محمد الصادق[١]، ما أحسن حكمته حين قال: يا ابن آدم، مالك تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت، ومالك تفرح بموجود لا يتركه في يدك الموت.

إذن، فخلاصة هذا المطلب أن الفرح بالدنيا هو من الفرح المباح، ما لم يكن له آثار مذمومة فيُذمّ، أو ممدوحة فيُمدَح.

(١) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال ابن حبان: كان من سادات أهل البيت فقها وعلما وفضلا،(تـ١٤٨هـ) انظر تهذيب التهذيب (ج١/ ٣٨٥ -٣٨٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثاني

الفرح بتفريج الهم وقضاء الحوائج

من صور الفرح المباح: فرح الإنسان بتفريج همه وقضاء حوائجه، فمن كان يعيش همًّا يقضّ مضجعه بالليل، ويمنعه لذة الطعام والشراب بالنهار، ويتركه في قلق وحيرة من أمره.. ثم جاءه الفرج من حيث لا يحتسب، فقُضيت حاجته، وزال همه؛ فلا شك أنه يفرح بذلك.

وقد حصل هذا الفرح لأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ولأتباعهم والسائرين على نهجهم، وذكره الله عز وجل في القرآن، ولنذكر صوراً لذلك من أخبار الأنبياء وأتباعهم في المطالب الآتية:

المطلب الأول: فرح يعقوب بعودة يوسف عليهما السلام:

قال الله سبحانه وتعالى في يعقوب صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[يوسف:٩٦].

فالبريد الذي أوصل خبر يوسف إلى يعقوب سماه الله بشيرا؛ لأنه سيأتيه بما يستبشر به، وبما يزول به همه وغمه، قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: والتبشير: المبادرة بإبلاغ الخبر المُسِرّ بقصد إدخال السرور.ا.هـ.

﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ ﴾ بقرب الاجتماع بيوسف وإخوته وأبيهم، قال ابن عباس وغيره رضي الله عنهم: هو يهوذا بن يعقوب، قال: أنا ذهبت بالقميص ملطّخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، فأنا أذهب إليه اليوم

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بالقميص فأخبره أن ولده حي، فأفرحه كما أحزنته.

﴿ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ أي: رجع على حاله الأولى بصيرا، بعد أن ابيضت عيناه من الحزن، وعادت إليه قوته بعد الضعف، وشبابه بعد الهرم، وسروره بعد الحزن.. فقال لمن حضره من أولاده وأهله - الذين كانوا يفندون رأيه، ويتعجبون منه - منتصرا عليهم، متبجحاً بنعمة الله عليه: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ حيث كنت مترجيا للقاء يوسف، مترقبا لزوال الهم والغم والحزن.

قال القرطبي: وهو دليل على جَوَازِ إِظْهَارِ الْفَرَحِ بَعْدَ زَوَالِ الْغَمِّ وَالتَّرَحِ[1].

المطلب الثاني: فرح أم موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم بعودته إليها:

لما ألقت أم موسى ولدها في اليم، أصبح فؤادها - كما وصف الله سبحانه وتعالى - فارغا، ثم جاءها ما تقر به عينها من عودة ولدها لها آمناً في حراسة قوم فرعون الذين كانت تخافهم عليه، ولنتابع قصتها رضي الله عنها في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الإلهام والبشارة:

قال عز وجل: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:٧]، وهذا

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٢/ ص٥١٤)، المحرر الوجيز (ج٥ / ص١٥٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج٩/ ص٢٢٢)، تفسير القرآن العظيم (ج٢ / ص١٢٠٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢ / ص٢٣٨)، تفسير الجلالين (ص٢٤٧)، جامع البيان للإيجي (ص٤٦٥)، التحرير والتنوير (ج١٣/ ص٥٤)، تيسير الكريم الرحمن (ص٥٥٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

-كما قال السعدي- من أعظم البشائر الجليلة، وتقديم هذه البشارة لأم موسى، ليطمئن قلبها، ويسكن روعها.

قال ابن العربي: هذه الآية من أعظم آي القرآن فصاحة؛ إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان.

وذكر القرطبي حكاية عن الأصمعي قال: سمعت جارية أعرابية تنشد وتقول:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِذَنْبِي كُلِّهِ ... قَبَّلْتُ إِنْسَانًا بِغَيْرِ حِلِّهِ

مِثْلَ الْغَزَالِ نَاعِمًا فِي دَلِّهِ ... فَانْتَصَفَ اللَّيْلُ وَلَمْ أُصَلِّهِ

فقلت: قاتلك الله ما أفصحك! فقالت: أوَ يُعَدُّ هذا فصاحة مع قوله تعالى:» وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ» الْآيَةَ؟ فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

ويوضح الطاهر بن عاشور رحمه الله ذلك بقوله:

١- فالخبران هما: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ﴾ وقوله: ﴿ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ ﴾؛ لأنه يشعر بأنها ستخاف عليه.

٢- والأمران هما: ﴿ أَرۡضِعِيهِ ﴾ و﴿ فَأَلۡقِيهِ ﴾.

٣- والنهيان: ﴿ وَلَا تَخَافِي ﴾ ﴿ وَلَا تَحۡزَنِيٓ ﴾.

٤- والبشارتان: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ ﴾ ﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾.

ثم قال رحمه الله: والنهي عن الخوف وعن الحزن نهيٌ عن سببيهما وهما توقع المكروه والتفكر في وحشة الفراق.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المرحلة الثانية: حِفظُ الله ابنَها في يد عدوها:

قال الله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [القصص:٨-٩].

تقول: أبقه لنا، لِتقرَّ به أعيننا، ونُسَرّ به في حياتنا. أي: هو سبب قرة عين لي ولك.

وقرة العين كناية عن السرور، وهي كناية ناشئة عن ضدها وهو سُخْنة العين التي هي أثر البكاء اللازم للأسف والحزن.

وفي الجهة الأخرى معاناة أم فقدت وليدها: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ أي: خاليا من كل شيء إلا من ذكر موسى وهمه، وهذا قول أكثر المفسرين.. وهو معنى ما نقله ابن عطية عن مالك رحمه الله، قال: هو ذهاب العقل، قال ابن عطية: نحو قوله ﴿ .. وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم:٤٣] قال القرطبي معلقاً: أي جُوف، لا عقول لهم؛ وذلك أن القلوب مراكز العقول، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ .. فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ .. ﴾ [الحج٤٦].

المرحلة الثالثة: تحقق الوعد، وتفريج الهمّ:

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[القصص:١١-١٣].

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

يقول سيد: وقد عاد الطفل الغائب لأمه الملهوفة، معافى في بدنه، مرموقاً في مكانته، يحميه فرعون، وترعاه امرأته، وتضطرب المخاوف من حوله وهو آمن قرير. وقد صاغت يد القدرة الحلقة الأولى من تدبيرها العجيب.

قال الطاهر ابن عاشور: و« قرت عينها » أي سُرّت بذلك... ودمع الفرح بارد ودموع الهم حرّى سخنة فمن هذا المعنى قيل: قرت العين وسخنت.

قال ابن كثير: فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله من بعد خوفها أمنا، في عزٍّ وجاه ورزق دَارٍّ..

وقال رحمه الله: ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل: يوم وليلة، أو نحوه، والله سبحانه أعلم، فسبحان من بيديه الأمر! ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجًا، وبعد كل ضيق مخرجًا.(١)

وقال سبحانه في سورة طه: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ.. ﴾ الآية [طه:٤٠].

عزا ابن جرير إلى ابن إسحاق قوله: لما قالت أخت موسى لهم ما قالت، قالوا: هات، فأتت أمه فأخبرتها، فانطلقت معها حتى أتتهم، فناولوها إياه، فلما وضعته في حجرها أخذ ثديها، وسُرّوا بذلك منه، وردّه الله إلى أمه كي تقرّ عينها، ولا تحزن، فبلغ لطف الله لها وله أن:

- ردّ عليها ولدها.

---

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٣/ ص٥٢٤)، أحكام القرآن، لابن العربي (ج٣/ ص٤٩١)، الإكليل (ص٤٩٨)..المحرر الوجيز (ج٦/ ص٥٧٣، ٥٧٦)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٣/ ص٢٢٨)، تفسير القرآن العظيم (ج٣/ ص١٧٤٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص٥٨٣)، في ظلال القرآن (ج٥/ ص٢٦٨٠)، التحرير والتنوير (ج٢٠/ ص٧٥، ٧٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته.

- مع الأمنة من القتل الذي يتخوف على غيره، فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون في الأمان والسعة، فكان على فرش فرعون وسرره[١].

ولا يستشعر المرء لذة الفرح الذي حل بقلب أم موسى حتى يعيش اللحظات التي عاشتها حين صار فؤادها فارغا إلا من ذكر ولدها، كما قيل:

لا تعذل المشـــــتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائهِ

فالفرح بتفريج الهم وتيسير الأمور، مركوز في فطرة الإنسان، وذكره الله سبحانه وتعالى في سورة يونس فقال عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[يونس:٢٢].

فهم يفرحون بالريح الطيبة لأنها سبب لسرعة سيرهم ووصولهم مقصودَهم، وللينها واستقامتها، فهي رِيح موافقة لما يهوونه، من غير انزعاج ولا مشقة. ففرحوا بها واطمأنوا إليها[٢].

فسهولة الأمر وتيسيره على الإنسان لا شك أنه سبب للسرور والسعادة، وهو فرح مباح لا شك فيه، غير أن الإنسان إذا فرح بتيسير أموره لكونها تيسر له التقرب إلى الله صار فرحا محمودا، وإذا فرح بذلك ليصل به إلى المعصية فهو فرح مذموم.

---

(١) جامع البيان (ج١٦/ ص ١٩٠).

(٢) انظر: جامع البيان (ج ١١/ ص١١٦)، معالم التنزيل (ج٢/ ص٤١٥)، تفسير القرآن العظيم (ج٢/ ص١١٢٢)، مدارك التنزيل (ص٤٦٨)، تيسير الكريم الرحمن (ص٤٩٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثالث: الفرح بالولد:

وهو من أكثر حاجات الناس التي يطلبون الله قضاءها، وهو كذلك فرح مفطور عليه الإنسان، ولله سبحانه حكمة بالغة في إعطاء الناس الذرية أو منعها عنهم، يقول عز وجل: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى:٤٩-٥٠].

وقد سبق في الفرح المحمود ذكر الفرح بالولد، غير أنه هناك كان فرحا بالولد الصالح خصوصا، وبالولد الذي سيرث أباه في النبوة والدعوة إلى الله.. أما الحديث في هذه الصورة فهو عن الفرح الفطري بالولد، ويمكن أن يكون جزء من فرح زكريا بيحيى عليهما الصلاة والسلام من هذا الفرح، ولا عيب في ذلك، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الفرح بالولد في غير موضع من كتابه الكريم.. توضحه الأمثلة الآتية:

المثال الأول: صورة من الفرح المباح بالولد:

ذلك هو فرح إبراهيم صلى الله عليه وسلم وزوجه سارة بإسحاق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ ﴾الآية [هود:٦٩]، قالت فرقة من المفسرين -وهي الأكثر- «البشرى» هي بإسحاق، وقالت فرقة: «البشرى» هي بإهلاك قوم لوط، والأول أظهر عند الزمخشري والنسفي وابن كثير، الذي استشهد له بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾[هود:٧٤].

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ... قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود:٦٩-٧١].

قَالَ جُمْهُورُ المفسرين: هُوَ الضَّحِكُ الْمَعْرُوفُ، وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقِيلَ: كان ضحكها ضحك تعجّب واستبعاد.

قَالَ الْفَرَّاءُ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، الْمَعْنَى: فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ فَضَحِكَتْ سُرُورًا بِالْوَلَدِ، وَقَدْ هَرِمَتْ، وهذا القول منسوب لابن عباس ووهب بن منبه.

ودلل ابن عاشور على صحة التقديم والتأخير بأن البشرى قد حصلت قبل أن يخبروه بأنّهم أرسلوا إلى قوم لوط كما في آية سورة الذاريات ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾[الذاريات:٨٢].

ولا يخفى أن آية الذاريات دلالتها أخفى من دلالة آية هود التي عطفت الأحداث بالفاء، ولهذا رد هذا القول ابنُ كثير رحمه الله تعالى بأنه مخالف لهذا السياق، فإن البشارة صريحة مُرتبة على: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾[هود:١٧]. فهو يرجح أن ضحكها كان لهلاك قوم لوط.

وقد يسأل سائل: لم كانت البشارة لسارة ولم يقل (فبشرناهما)؟ فيجيب النسفي رحمه الله تعالى عن هذا التساؤل بأنها خُصت بالبشارة:

١-لأن النساء أعظم سروراً بالولد من الرجال.

٢-ولأنه لم يكن لها ولد، وكان لإبراهيم ولد وهو إسماعيل[١].

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٢ / ص٤٥٦)، الكشاف (٢/ ٣٢٠)، المحرر الوجيز (ج٤/ ص٦٠٦)، الجامع لأحكام القرآن (ج٩/ ص٥٩)، مدارك التنزيل (ص٥٠٥) تفسير القرآن العظيم (ج٢/ ص١١٦٣)،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والخلاصة: أن الفرح بالولد، والشوق إلى الذرية أمر فطري، وهو فرح مباح، إلا:

- إن كان الدافع له مرضيا عند الله فيصير محمودا، أو مكروها عنده سبحانه وتعالى فيصير مذموما.

- وكذلك ما لم يكن أثر الفرح بالولد مرضيا أو مكروها فيكون محمودا أو مكروهاً.

المثال الثاني: صورة للفرح بالولد، كيف صار محمودا بسبب الدافع:

ومِن طلب الولد لدافعٍ مرضيٍّ عند الله ما ذكرنا من قصة زكريا عليه السلام، ومنه كذلك قول سليمان عليه الصلاة والسلام: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله..» الحديث[1].

وهذا قاله على سبيل التمني للخير -كما نبه عليه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى- وأنه إنما جزم به لأنه غلب عليه الرجاء لكونه قصد به الخير وأمرَ الآخرة لا لغرض الدنيا.. وذكر في الحديث من الفوائد:

- فضل فعل الخير وتعاطي أسبابه.

- وأن كثيرا من المباح والملاذ يصير مستحبا بالنية والقصد[2].

التسهيل لعلوم التنزيل (ج٢/ ص٢٠٤)، تفسير الجلالين (ص٢٢٩)، جامع البيان للإيجي (ص٤٣٦)، التحرير والتنوير (ج١٢/ ص١١٦- ١١٩)، تيسير الكريم الرحمن (ص٥٢٦)، في ظلال القرآن (ج٤/ ص١٩١٢).

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء (ح ٣٤٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) انظر: فتح الباري (ج٦/ ص٤٦١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المثال الثالث: صورة لتحوله إلى فرح مذموم بسبب أثره:

ومن الفرح المذموم بالولد ما ذكره الله من إنعامه على الوليد بن المغيرة بكثرة الولد وحضورهم بين يديه، يستعز بهم، وكيف أن ذلك غره بدل أن يكون سببا لشكر الله على نعمه، قال الله عز وجل: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴾ [المدثر:١١-١٦].

قال ابن عطية: ولا خلاف بين المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي.

فهو يذكّره بخلقته في بطن أمه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد، مجرداً من كل شيء آخر مما يعتز به من مال كثير ممدود وبنين حاضرين شهوداً بمكة، لَا يَظْعَنُونَ عَنْهُ فِي تِجَارَةٍ ولا يغيبون عنه، بل مَواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم، يتمتع بهم ويتَمَلَّى بهم، وكانوا سبعة أوعشرة، على خلاف في عددهم. فذكر الله منته عليه باجتماع أولاده عنده:

- فهو مستأنس بهم لا يشتغل بالُه بمغيبهم وخوف معاطب السفر عليهم.
- وكانوا بِغِنىً عن طلب الرزق بتجارة أو غارة.
- وكانوا يشهدون معه المحافل، فكانوا فخراً له يقضي بهم حوائجه، ويستنصر بهم، وتُسمع شهاداتهم.

وكان في نعم يتبطر بها ويختال ويطلب المزيد، ويتوعده الله بقوله سبحانه: ﴿ ذَرْنِي ﴾ فأنا أكفي عقابه وشأنه كله، خَلِّ بيني وبينه ولا تشغل بالك بمكره وكيده، فأنا سأتولى حربه.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

ويطيل النص في وصف حال هذا المخلوق، وما آتاه الله من نعمه وآلائه، قبل أن يذكر إعراضه وعناده، ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ وهذا وصف لجشع الوليد وطمعه أن يزيد الله في ماله وولده من غير شكر!! وطمعه كذلك في دخول الجنة، وَكَانَ الْوَلِيدُ يَقُولُ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فَمَا خُلِقَتِ الْجَنَّةُ إِلَّا لِي.

وجواب الله عز وجل: ﴿ كَلَّا ﴾ لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم، فَلَمْ يَزَلْ يَرَى النُّقْصَانَ في ماله وولده حتى هلك.. مع ما توعده من العذاب يوم القيامة[1].

فهذه صورة جلية للفرح بالولد كيف صار فرحا مذموما بسبب نسيان الاعتراف بنعمة الله، فكان أثر ذلك على سلوكه بطراً واستكبارا على الله سبحانه وتعالى وعلى شرعه، وكان جزاؤه سلب النعمة منه في الدنيا شيئا فشيئا، والسُبّة التي لحقته طول الدهر، والعذاب الذي أُعد له، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٥/ ص١٧٥)، المحرر الوجيز (ج٨ / ص٤٥٥)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٩/ ص٦٥وما بعدها)، مدارك التنزيل (ص١٢٩٧)، تفسير القرآن العظيم (ج٤ / ص٢٤٢٨)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٤/ ص٢٩٩)، تفسير الجلالين (ص٥٧٦)، التحرير والتنوير (ج٢٩/ ص٣٠٤)، تيسير الكريم الرحمن (ص١٢٦٣)، في ظلال القرآن (ج٦/ ص٣٧٥٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الثالث

الفرح بالعلم

العلم من أشرف ما يتحلى به الإنسان، وإنما كانت كرامة آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بالعلم، ولما ظهر للملائكة ما خصه الله دونهم من العلم؛ أمرهم بالسجود له.

والفرح بالعلم من صور الفرح المباح، ويصير فرحا محمودا أو مذموما بحسب الدافع النفسي له أو الأثر السلوكي الناشئ عنه، ويتضح هذا من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الفرح المحمود بالعلم:

لقد نُقل لنا عن رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم الفرح بالمسألة والمسألتين من العلم يعرفونها، ولنكتف بمثالين على ذلك:

المثال الأول:

عن عامر الشعبي رحمه الله قال: قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني: أن زوجها طلقها على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم... وذكر قصتها، قال: فلما أردت أن أخرج قالت: اجلس حتى أحدثك حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما من الأيام فصلى صلاة الهاجرة، ثم قعد ففزع الناس، فقال: «اجلسوا أيها الناس، فإني لم أقم مقامي هذا

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

لفزع، ولكن تميما الداري أتاني فأخبرني خبرا منعني القيلولة **من الفرح وقرة العين**، فأحببت أن أنشر عليكم فرح نبيكم صلى الله عليه و سلم.... ثم ذكر حديث الجساسة الطويل [١].

و قوله:«من الفرح وقرة العين»:لأنه يظهر به صدقه في دعوى النبوة، وكذا فيما كان يخبرهم به من أمر الدجال، وظهر به شرف بلده صلى الله عليه وآله وسلم [٢].

المثال الثاني:

عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود أتاه قوم فقالوا: إن رجلا منا تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقا، ولم يجمعها إليه حتى مات، فقال عبد الله: ما سئلت منذ فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد عليّ من هذه، فأتوا غيري.

فاختلفوا إليه فيها شهرا، ثم قالوا له في آخر ذلك: من نسأل إن لم نسألك، وأنت من جِلّة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بهذا البلد ولا نجد غيرك؟ قال: سأقول فيها بجهد رأيي، فإن كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله منه برآء.

أُرَى أن أجعل لها صداق نسائها، لا وكس ولا شطط، ولها الميراث، وعليها العدة أربعة أشهر وعشرا، قال: وذلك بسمع أناس من أشجع، فقاموا فقالوا: نشهد أنك قضيت بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأة منا يقال لها:

---

(١) مسند أحمد (ج٦/ ص٣٧٣)، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن (ح٤٠٧٤)، وصححه الأرنؤوط في تحقيق/ المسند (ج٤٥/ ص٥٩)، والحديث في صحيح مسلم، كتاب الفتن (ح٢٩٤٢) دون عبارة «منعني القيلولة...» التي هي شاهد القصة في مبحثنا.

(٢) حاشية مسند الإمام أحمد، لأبي الحسن السِّندي (تـ١١٣٨هـ)، (ج١٥/ ص٣٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

بَرْوَع بنت واشق.

قال: «فما رئي عبد الله فرح فرحةَ يومِئذ إلا بإسلامه»[١].

فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرح بالمسألة من العلم كان أخبر الصحابة رضي الله عنهم بها من قبل، ثم وجدها عند غيره ليزداد الذين آمنوا إيمانا.. وابن مسعود رضي الله عنه فرح عندما علم أن فتواه كانت موافقة لسنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فكل ذلك فرح محمود؛ لأنه فرح بما يحبه الله ويرضاه.

قال ابن المقفع: «مما يدل على علم العالم معرفته بما يدرك من الأمور، وإمساكه عما لا يدرك، وتزيينه نفسه بالمكارم، وظهور علمه للناس من غير أن يظهر منه فخر ولا عجب، ومعرفته زمانه الذي هو فيه، وبصره بالناس، وأخذه بالقسط، وإرشاده المسترشد، وحسن مخالقته خلطاءه، وتسويته بين قلبه ولسانه، وتحريه العدل في كل أمر، ورحب ذرعه فيما نابه، واحتجاجه بالحجج فيما عمل، وحسن تبصيره.

من أراد أن يبصر شيئا من علم الآخرة فبالعلم الذي يعرف به ذلك. ومن أراد أن يبصر شيئا من علم الدنيا فبالأشياء التي هي تدل عليه» [٢].

المطلب الثاني: الفرح المذموم بالعلم:

يصير الفرح بالعلم مذموماً إذا كان الدافع له مذموماً أو كان أثره مذموماً، وله صور عديدة، لعل من أبرزها ما يلي:

(١) سنن النسائي. كتاب النكاح (ح٣٣٥٨)، ومستدرك الحاكم (ج٢ / ص١٨٠) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
(٢) الأدب الصغير (ص٤٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الصورة الأولى: استعمال العلم فيما لا ينبغي:

وهو من الآثار المذمومة للفرح بالعلم، قال ابن مسكويه: الحكمة وسط بين السفه والبله. وأعني بالسفه ههنا استعمال القوة الفكرية فيما لا ينبغي، وأعني بالبله تعطيل هذه القوة وإهمالها بالإرادة لا لنقصان الخلقة[١].

١- ومثالها في سورة الأعراف في قول الله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

عن عبد الله بن مسعود: قال: هو بلعم، أو قال: بلعام بن باعوراء.. وعن عبد الله بن عمرو قال: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي السلط الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها[٢].

- أما أمية فقد كان قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله جل وعز، ووحد الله، وكان يخبر بأن نبيا من العرب يُبعث قد أظل زمانه، ويؤمل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ كفر حسداً له.

بل استعمل شعره وعلمه في محاربة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففي «الأغاني» أنه رثى من قُتل من قريش في بدر، وحرض قريشاً على حرب النبي[٣].

---

(١) انظر: تهذيب الأخلاق لمسكويه (ص٢٧) الشخصية (ص٩٧).

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧/ ٢٥) وقال عن كل رواية منهما: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر: الشعر والشعراء. ابن قتيبة (١/ ٤٥٠)، الأغاني (٤/ ٩٧- ٩٨).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فكان إعجابه وفرحه بما عنده من العلم بالكتب السابقة سببا لاستعمال علمه في الباطل.

- وأما بلعام فقد كان عالمًا، فاستخدم علمه في محاربة المؤمنين من بني إسرائيل في زمانه، قال الله: ﴿ وَٱتْلُ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ أي: تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزّه إلى المعاصي أزًّا.

والدافع له على ذلك هو ركونه إلى الدنيا وإيثارها على الاخرة، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض، ومال إليها، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة. ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ ورفض طاعة الله وخالَف أمرَه[1].

وهذه نتيجة العلم بغير إيمان، يجني منه الناس الشر أكثر مما يجنون من الخير.

٢- ومثالها في واقعنا ما يراه العالَم اليوم من أن «التقدم العلمي الحديث لم يحُل دون وقوع كارثتين عالميتين خلال نصف قرن من الزمان، وعشرات الحروب بعد ذلك إلى يومنا هذا.. والسلام يتطلب تغيير القيم الخلقية الأساسية لأفراد المجتمع، وتعديل بعض دوافعهم وأهدافهم»[2].

ويتكرر اليوم هذا الفرح بالعلم الذي يوصل لدرجة الطغيان، ويغري أصحابه بالعدوان على البشرية كلها واستعبادها، ونحن نرى هذه «الثورة الصناعية وما

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٧- ٢٥٩) طبعة التركي، تيسير الكريم الرحمن (ص٣٠٨) طبعة الرسالة.

(٢) انظر: أصول علم النفس (ص٣٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

تبعها من:

أ- كشوفات ومنجزات، وما ترتب عليها من تقنيات كانت من أسباب تملك أزمّة القوة المادية، وتحقيق الحياة الرغدة والرفاهية.. ولكون ذلك ترافق مع نزعات علمانية وإلحادية؛ فقد قوّى من شأن تلك المذاهب ورفع بين الغربيين من قدرها.

ب- كما أنه -في ذات الوقت- قد حقق التفوق العسكري الغربي، وهو ما مكن من استعمار طويل لكثير من البلاد والعباد.. ولما كانت عقيدة الصراع تمثل عقدة كبرى في منظومة الفكر والقيم الغربية؛ فقد دعمت التقنيةُ -بشكل مباشر- هذه التوجهات، وتحولت التقنية إلى فتنة حقيقية للغرب حين حملتهم على الإلحاد حملاً، وإنكار الأديان المعتمدة على الوحي الإلهي والإيمان بالغيب»[1].

الصورة الثانية: طلب العلم لغرض مادي بحت:

وهو أن يكون الهدف المادي هو مقصد المتعلم فحسب، يقول الإبراشي رحمه الله: ولسنا في شك مطلقا من أن العلم أكبر قوة في يد الإنسان، ولكننا في حاجة إلى العلم الذي يؤدي إلى الانتفاع به عمليا؛ فالعلم بلا عمل لا خير فيه، مَثله مثل شجرة بغير ثمر.. هذا هو المقياس الذي يقاس به العلم ويحكم به على العلوم اليوم.

ولا عجب، فبعد أن كان العلم يطلب حبا للعلم ذاته؛ أصبحنا لا نفكر إلا

(١) انظر: قراءة في الاستراتيجية الغربية لحرب الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمر ٢٠٠١م (ص٤٠-٤١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

في الماديات !! وأصبحت العلوم التي لا تؤدي إلى أكل الخبز ينظر إليها نظرة تشكك في الإقبال عليها، ويكثر الإقبال على العلم أو المهنة بقدر ما يمكن أن تُدِرّه من المال في أقصر وقت.

هذا هو مقياس الإقبال على العلم الآن، وهذا هو الرأي السائد بين الأكثرية من المربين والمتعلمين في الأمم المتمدينة[1].ا.هـ. مختصراً.

وهذه النظرة للعلم سبب لأدواء كثيرة منها:

١- الأنانية.

٢- وعدم الإخلاص في تعلم العلم ولا في الوظيفة.

٣- ونسيان الآخرة.

٤- وإمكانية عمل ما يدر المال ولو كان فيه ظلم للغير ومخالفة للشرع.

٥- والزحام على تخصصات محدودة، مع ترك فرض الكفاية في التخصصات التي تحتاجها الأمة.

الصورة الثالثة: الاغترار بالعلم لدرجة رد الحق:

والسبب أنه إذا لم يكن مع العلم تهذيب؛ أصاب صاحبَه الغرور والعجب، ثم التعالي والكبر، فردّ الحق؛ بحجة أنه يعرفه، ولا يحتاج إلى من يعلمه إياه.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [غافر:٢٨] وآثارهم في الأرض تدل على ما بلغوه من العلم والتحضر.

(١) الشخصية (١٤٧- ١٤٨) ثم دعا إلى التوازن بين الروح والمادة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[غافر:٨٣] ويدخل فيه صور عديدة منها:

١- قول المفسرين: ﴿ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، وظنوا أنه لا آخرة، كما قال: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[الروم:٧]، فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات، وهي أبعد شيء من علمهم؛ لبعثها على رفض الدنيا والمنع عن الملاذ والشهوات؛ لم يلتفتوا إليها، وصغروها واستهزأوا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به.

٢- ويدخل فيه علم الفلاسفة والدهريين، فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغّروا علم الأنبياء إلى علمهم. وقد ذكر الزمخشري رحمه الله أن سقراط[١] سمع بموسى عليه السلام وقيل له: لو هاجرت إليه فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا[٢].

٣- والثورة الصناعية الكبرى جعلت الغرب ينظرون لغيرهم من الأمم والشعوب نظرة دونية، ومَثّل هذا فتنة من جهة أخرى، حيث عزوا تخلف الأمم -ومنها الأمة المسلمة-إلى ارتباطهم بالدين وتمسكهم به، دون التعويل على عقلانية ومنطقية موروثة عن اليونان.. وعليه فإن الفكر الخرافي عند غيرهم هو

(١) فيلسوف يوناني، ولد في أثينا وعلّم فيها فأحدث ثورة في الفلسفة بأسلوبه وفكره، حكم عليه بالإعدام فشرب السم في سجنه ومات في حدود سنة ٣٩٩ق.م. انظر: المنجد في اللغة والأعلام (ج٢/ ص٣٠٢). وإذا كانت وفاته كما ذكر هنا فإن القصة لا تصح؛ لتقدم زمن موسى صلى الله عليه وسلم على ذلك بقرون.

(٢) الكشاف (ج٤/ ص١٤٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

السبب في تخلفهم وتراجعهم»[١].

ومهما كانت العلوم التي معهم، إذا كانت معارضة للعلم الذي فيه الهدى؛ فإنها لا تغني عن صاحبها شيئا، قال السعدي: ومن المعلوم أن فرحهم به يدل على:

- شدة رضاهم به، وتمسكهم.

- ومعاداة الحق، الذي جاءت به الرسل.

- وجعل باطلهم حقًا، وهذا عام لجميع العلوم التي نوقض بها ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا: علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي:

١- رُدَّت به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب.

٢- وجعلت أدلته اليقينية القاطعة أدلة لفظية، لا تفيد شيئًا من اليقين.

٣- ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها، والمناقضة، فالله المستعان[٢].

فالعلم بغير إيمان فتنة تُعمي وتطغي -كما قال سيد- ذلك أن هذا اللون من العلم الظاهري يوحي بالغرور؛ إذ يحسب صاحبه أنه يتحكم بعلمه هذا في قوى ضخمة، ويملك مقدرات عظيمة! فيتجاوز بنفسه قدرها ومكانها، وينسى الآماد

(١) انظر: قراءة في الاستراتيجية الغربية لحرب الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمر ٢٠٠١م (ص٤٠-٤١).

(٢) انظر: معالم التنزيل (ج٤/ ص١٢٣)، المحرر الوجيز (ج٧/ ص٤٦٠)، الجامع لأحكام القرآن (ج١٥/ ص٢٩٣)، مدارك التنزيل (ص٩٠٢)، تفسير القرآن العظيم (ج ٤/ ص ٢٠٥٠- ٢٠٥١)، التسهيل لعلوم التنزيل (ج٣/ ص٢٢٠)، تيسير الكريم الرحمن (ص١٠٤٥، ٧١٠)، في ظلال القرآن (ج ٥/ ص ٣١٠١).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الهائلة التي يجهلها، وهي موجودة في هذا الكون، ولا سلطان له عليها، بل لا إحاطة له بها، بل لا معرفة له بغير أطرافها القريبة. وبذلك ينتفخ فيأخذ أكثر من حقيقته، ويستخفه علمُه ويَنسى جهلَه.

وهؤلاء فرحوا بما عندهم من العلم واستهزؤوا بمن يذكّرهم بما وراءه(١).

وأساطين العلم الحديث إذا تأملوا عرفوا أن علمهم تعليم من الله، يقول هنري مارغناو في كتابه «الله من خلق قوانين الطبيعة»: يحتاج العلم للدين لكي يفسر أصله ونجاحاته، وقد ناقشت وجهة النظر هذه مع آينشتاين عندما قمت ببحث في معهد الدراسات المتقدمة في برنستون عام ١٩٣٢ وأذكر تعليقه: «إن اكتشاف قانون أساسي مؤكد في الطبيعة هو إلهام من الله»(٢).

وإذا رجعنا إلى الصف المسلم وجدنا أن السعدي رحمه الله تعالى يجعل أهل البدع والأهواء الذين فرحوا بما عندهم من معلومات، فدعوا إليها، وزعموا أنهم محقون وغيرهم مبطلون، يجعلهم داخلين في مفهوم قول الله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٨٨](٣).

الصورة الرابعة: طلب العلم الذي لا ينفع، وقد يضر:

فالعلم وإن كان شريفا في أصله، لكن من أنواعه ما لا يستحق أن يُفرح به، بل إن الجهل به أنفع للإنسان منه، لأنه علم كالجهل، وهذا النوع من العلم في حكم العدم.

---

(١) في ظلال القرآن (ج ٥/ ص٣١٠١).
(٢) عن كتاب: الإيمان بالخالق والعلم. تأليف جوردن ليدنر. ترجمة مركز دلائل (ص٢٩).
(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ١٤٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

* آية تنفي العلم عن أكثر الناس:

وقد نفى الله عن أكثر الناس العلم ثم أثبت لهم علما ظاهريا؛ قال سبحانه: ﴿ ... وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم:٦-٧].

فلو قاس الإنسان ما يعلم إلى ما يجهل، وما يقدر عليه في هذا الكون إلى ما يعجز حتى عن إدراك سره؛ لطامن من كبريائه، وخفف من فرحه الذي يستخفه.(١)

وكأن علمهم جهل، أي: لا يعلمون بحِكَم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل، ولا يتعمقون في سنن الحياة الثابتة، وقوانينها الأصيلة، ولا يدركون نواميسها الكبرى وارتباطاتها الوثيقة، وإنما ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ يعني: أمر معاشهم، كيف يكتسبون ويتجرون، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون، وكيف يبنون ويعيشون.. فأكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، والخلل ليس فيما يعلمونه، ولكن في غفلتهم عن آخرتهم التي إليها يرجعون فيخلدون في نعيم دائم أو جحيم دائم.

وهذه العلوم لو قارنها الإيمان وبنيت عليه؛ لأثمرت الرُّقِيَّ العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير(٢).

---

(١) في ظلال القرآن (ج ٥، ص ٣١٠١).

(٢) انظر: معالم التنزيل (ج٣/ ص٥٧١)، تفسير القرآن العظيم (ج٣/ ص١٧٩٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص٨٩٢).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فهم ينظرون إلى الأسباب، فهم واقفون معها غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها.

يقول سيد رحمه الله: وظاهر الحياة الدنيا محدود صغير، مهما بدا للناس واسعاً شاملاً، يستغرق جهودَهم بعضُه، ولا يستقصونه في حياتهم المحدودة.. والحياة كلها طرف صغير من هذا الوجود الهائل، تحكمه نواميس وسنن مستكنّة في كيان هذا الوجود وتركيبه.

وأكثر الناس كذلك؛ لأن الإيمان الحق هو وحده الذي يصل ظاهر الحياة بأسرار الوجود؛ وهو الذي يمنح العلم روحه المدرك لأسرار الوجود.

والمؤمنون هذا الإيمان قلة في مجموع الناس. ومن ثم تظل الأكثرية محجوبة عن المعرفة الحقيقية[1].

قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾.

قال الحسن: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ، وهو لا يحسن يصلي!! ﴿ وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ ساهون عنها جاهلون بها، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها.

قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها، فعملت لها وسعت، وأقبلت بها وأدبرت، وغفلت عن الآخرة:

- فلا الجنة تشتاق إليها.

- ولا النار تخافها وتخشاها.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (ج ٣/ ص١٧٩٢)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩٢)، في ظلال القرآن (ج٥/ ص٢٧٥٨- ٢٧٥٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- ولا المقام بين يدي اللّه ولقائه يروعها ويزعجها. وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة[١].

فالآخرة حلقة في سلسلة النشأة، وصفحة من صفحات الوجود الكثيرة. والذين لا يدركون حكمة النشأة، ولا يدركون ناموس الوجود يغفلون عن الآخرة، ولا يقدرونها قدرها، ولا يحسبون حسابها، ولا يعرفون أنها نقطة في خط سير الوجود، لا تتخلف مطلقاً ولا تحيد.

والغفلة عن الآخرة تجعل كل مقاييس الغافلين تختل؛ وتؤرجح في أكفهم ميزان القِيَم؛ فلا يملكون تصور الحياة وأحداثها وقيمها تصوراً صحيحاً، ويظل علمهم بها ظاهراً سطحياً ناقصاً؛ لأن حساب الآخرة في ضمير الإنسان يغير نظرته لكل ما يقع في هذه الأرض:

- فحياته على الأرض إن هي إلا مرحلة قصيرة من رحلته الطويلة في الكون.

- ونصيبه في هذه الأرض إن هو إلا قدر زهيد من نصيبه الضخم في الوجود.

- والأحداث والأحوال التي تتم في هذه الأرض إن هي إلا فصل صغير من الرواية الكبيرة.

ولا ينبغي أن يبني الإنسان حكمه على مرحلة قصيرة من الرحلة الطويلة، وقدر زهيد من النصيب الضخم، وفصل صغير من الرواية الكبيرة!

ومن ثم لا يلتقي إنسان يؤمن بالآخرة ويحسب حسابها، مع آخر يعيش لهذه الدنيا وحدها ولا ينتظر ما وراءها:

---

(١) انظر المراجع السابقة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- لا يلتقي هذا وذاك في تقدير أمر واحد من أمور هذه الحياة.

- ولا قيمة واحدة من قيمها الكثيرة.

- ولا يتفقان في حكم واحد على حادث أو حالة أو شأن من الشؤون.

فلكل منهما ميزان، ولكل منهما زاوية للنظر، ولكل منهما ضوء يرى عليه الأشياء والأحداث والقيم والأحوال.. هذا يرى ظاهراً من الحياة الدنيا؛ وذلك يدرك ما وراء الظاهر من روابط وسنن، ونواميس شاملة:

١- للظاهر والباطن، والغيب والشهادة.

٢- والدنيا والآخرة، والموت والحياة.

٣- والماضي والحاضر والمستقبل.

٤- وعالم الناس والعالم الأكبر الذي يشمل الأحياء وغير الأحياء.

وهذا هو الأفق البعيد الواسع الشامل الذي ينقل الإسلامُ البشريةَ إليه؛ ويرفعها فيه إلى المكان الكريم اللائق بالإنسان. الخليفة في الأرض. المستخلف بحكم ما في كيانه من روح الله[١].

*** حديث يحكم على بعض العلوم بالجهل:**

وقد رُوي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً»[٢] أي:

١- لكونه علما مذموما، والجهل به خير منه. قاله المناوي، فيتعلم ما لا حاجة إليه، كالنجوم وعلوم الأوائل، ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القرآن

(١) في ظلال القرآن (ج ٥/ ص٢٧٥٩).

(٢) عن بريدة رضي الله عنه في سنن أبي داود، كتاب الأدب (ح٥٠١٢) وضعفه الألباني.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والسنة. قاله ابن الأثير.

٢- وقيل: هو أن لا يعمل بعلمه فيكون ترك العمل بالعلم جهلا. ذكره في عون المعبود.

٣- وقال صعصعة بن صوحان بعد هذا الحديث في أبي داود ما معناه: هو أن يتكلف العالمِ القولَ فيما لا يعلمه فيُجهِّله ذلك».[١]

فالعلم المذموم:

- يفتح أبواب الجدال العقيم.

- ويشق للجهلة طرق الضلال والعماية.

- ويحرم المرء من إدراك مقصود العلم النافع وهو: معرفة الحق الواجب من الباطل المهلك، ومعرفة المحق من المبطل.

*** عالم يمني يكشف سر الضلال في العلم:**

وقد أحببت أن أنقل حول ذلك من كلام علامة اليمن ابن الوزير رحمه الله تعالى[٢] حيث يقول: إن الذي وسّع دائرة المراء والضلال هو:

١- البحث عما لا يُعلم، والسعي فيما لا يدرك، وطول السير والسعي في الطريق التي لا توصل إلى المطلوب.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (ج١/ ص٣٢٢)، التيسير للمناوي (ج١/ ص٣٤٥) عون المعبود (ج ١٣، ص ٢٤١، ٢٤٢).

(٢) هو الإمام الكبير المجتهد المطلق المعروف بابن الوزير السيد محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، يصل نسبه إلى الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعا، (٧٧٥ هـ - ٨٤٠هـ) قرأ على أكابر مشايخ صنعاء و صعدة وسائر المداين اليمنية ومكة، وتبحر في جميع العلوم وفاق الأقران واشتهر صيته وبعد ذكره وطار علمه في الأقطار، قال الشوكاني: ولو قلت ان اليمن لم ينجب مثله لم أبعد عن الصواب. انظر البدر الطالع (ص٦٣٦- ٦٤٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- والاقتداء بمن يُظنّ فيه الإصابة وهو مخطئ.

٣- والاشتغال بالبحث عن الدقائق التي:

أ- لا طريق إلى معرفتها.

ب- ولا يوصل البحث عنها إلى اليقين ولا إلى الوفاق.

جـ- ولا ظهرت للخوض فيها -مع طوله- ثمرة نافعة، لا باليقين صادعة ولا للافتراق جامعة.

د- ولا روي عن أحد من الأنبياء عليهم السلام، ولا صح عن أحد من السلف الكرام[1].

ثم ذكر الأدلة الجلية على أن العلوم ليست كلها محمودة فقال:

وربما انقطع هذا العمر القصير في تلك الطرق البعيدة قبل البلوغ إلى المقصود بها، وهو: معرفة الحق الواجب من الباطل المهلك، ومعرفة المحق من المبطل.. وليس الطلب لكل علم بمحمود، ولا كل مطلوب بموجود، أما الثانية فوفاقية.. وأما الأولى فعقلا وسمعا:

- أما العقل: فإنه لا يحسن قطع الأوقات في وزن الحجارة وكيل التراب ونحو ذلك مما لا يفيد؛ والعلة أنه عبث ولعب لا يضر ولا ينفع، فكيف بما يضر أو لا يؤمن أنه يضر !!

- وأما السمع:

١- فقد قال تعالى في متعلمي السحر أنهم: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(١) إيثار الحق على الخلق (ص٤ - ٥) مختصراً.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ [غافر٨٣]، والآية تقتضي ذم علمهم وذمهم به.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام:٩].

٤- وعلم آدم الأسماء دون الملائكة.

٥- وآتانا من العلم قليلا مع قدرته على أن يؤتينا كثيرا، فقال في ذلك: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء٨٥]، يوضحه قول الخضر لموسى عليهما السلام: «ما علمي وعلمك وعلم جميع الخلائق في علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من هذا البحر»(١) وقال لموسى: «أنا على علم من علم الله لا ينبغي لك أن تعلمه، وأنت على علم من علم الله لا ينبغي لي أن أعمله»(٢).

ومن عجيب ما ذكره ابن الوزير أن الجهل بالشيء قد يكون أكثر فائدة من العلم به، فقال رحمه الله:

١- ولذلك ذم الله الذين في قلوبهم زيغ بابتغاء تأويل المتشابه، ومدح الراسخين بالاعتراف بالعجز.

٢- وذم اليهود على تعاطي ما لم يعلموا، فقال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [آل عمران٦٦].

٣- ومن ذلك أن الله تعالى أرى رسوله والمسلمين يوم بدر الكثير من المشركين قليلا في المنام ثم في اليقظة؛ للمصلحة.

---

(١) صحيح البخاري، أحديث الأنبياء (ح٣٤٠١) عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه مرفوعا بنحوه.
(٢) إيثار الحق على الخلق (ص٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٤- وقال سبحانه في الساعة: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:١٥]، أي أخفي علمها الجملي، وأما تعيين وقتها فقد أخفاه من الخلق كما قال: ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف:٧٨١] وكفى بذلك حجة صادعة على أن المصلحة للخلق قد تُعلّق بجهل بعض العلوم، ولأن حكمة الله وحكمه الذي لا يغالب قد يقتضي ذلك عموما كما اقتضت كتم الآجال على الأكثرين.

٥- وجاء في الحديث الصحيح أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه أوّلَ رؤيا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له: «أصبت بعضا وأخطأت بعضا» فسأله بيان ما أصاب فيه وما أخطأ، فأبى عليه!! فقال:أقسمت عليك إلا ما أخبرتني، فقال: «لا تقسم»[(١)].. فهذا مع إكرامه له وأنه على خلق عظيم -كما قال الله تعالى - فلولا أن الجهل ببعض الأمور قد يكون راجحا أو واجبا لما تخلف عن إخباره بعد هذا الإلحاح الكثير من هذا الصاحب الكبير.

فدل على أنه ليس في كل علم صلاح العباد -وإن قدّرنا أنه يحصل من غير خطأ ولا تعب ولا خطر- فكيف مع خوف الفوت والخطر العظيم والتعب الشديد، بل هو مع تحقق ذلك في حق الأكثرين بالتجارب الضرورية..الخ[(٢)].

ثم ذكر أمثلة لعلماء كبار تراجعوا عن الخوض في علوم ظنوها نافعة واكتشفوا في آخر الطريق أنها سراب، فقال:

(١) صحيح البخاري كتاب التعبير (ح٧٠٤٦) صحيح مسلم كتاب الرؤيا (ح٢٢٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) إيثار الحق على الخلق (ص٦ -٧)مختصرا.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وفي شعر العلامة ابن أبي الحديد المعتزلي[١] -وقد حكى كثرة بحثه في علم الكلام -حتى قال:

وأُســــائل الملل التي اختلفت ... في الدين حتـــــى عابد الوثن

وحســـــبت أني بالـــــغ أملي ... فيما طلبت ومبرئ شـــــجني

فإذا الذي استكثرت منه هو الـــــ ... ـــــجاني عليّ عظائم المحن

فضلِلـــــــت في تيهٍ بــــــلا علَمٍ ... وغرقـــــت في يم بلا سَـــــفَنِ

وقال الفخر الرازي[٢]في ذلك:

العلم للرحمـــــن جل جلاله ... وســــواه في جهلاته يتغمغمُ

ما للتراب وللعلـــــوم وإنما ... يســـــعى ليعلم أنـــــه لا يعلمُ

(١) عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين: (٥٨٦ - ٦٥٦ هـ) عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ. ولد في المدائن، وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الإنشاء، وكان حظيا عند الوزير ابن العلقمي.انظر: الأعلام (ج٣/ ص٢٨٩).

(٢) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الاوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الري وإليها نسبته، ويقال له (ابن خطيب الري) رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة. أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها. الأعلام (ج٦/ ص٣١٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وقال صاحب نهاية الإقدام[١]:

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيّرتُ طرفي بين تلك المعالمِ

فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائـــــرٍ على ذَقَنٍ أو قارعاً سِـــــنَّ نادمِ

فهذا كلام سلاطين أئمة المعارف العقلية من فريقَي الملة الإسلامية[٢]ا.هـ. المقصود، ويقصد بالفريقين المعتزلة والأشعرية والله أعلم.

وهو مبحث نفيس أحببت أن لا يفوت القارئ عرضه في هذا الموطن من كلام هذا الإمام المجتهد الذي قال عنه الشوكاني رحمه الله: والذى يغلب على الظن أن شيوخه لو جُمعوا جميعا في ذات واحدة لم يبلغ علمهم إلى مقدار علمه، وناهيك بهذا[٣].

خلاصة القول: أن العلم من أشرف ما يتحلى به الإنسان، ومن أحق ما يُفرح به، فإذا لم يكن مع العلم تهذيب؛ أصاب صاحبَه الغرور والعجب، ثم التعالي والكبر؛ فردّ الحق، وتعدى على الناس بما يملكه من مقومات القوة التي أخذها من العلوم التي يتقنها، وكان علمه فتنة له.

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام لمحمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني: (٤٧٩ – ٥٤٨هـ) من فلاسفة الاسلام. كان إماما في علم الكلام وأديان الامم ومذاهب الفلاسفة. يلقب بالأفضل. ولد في شهرستان (بين نيسابور وخوارزم) وانتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ فأقام ثلاث سنين، وعاد إلى بلده. وتوفي بها.

قال ياقوت في وصفه: (الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل العقل، ولولا تخبطه في الاعتقاد ومبالغته في نصرة مذاهب الفلاسفة والذب عنهم لكان هو الامام.) الأعلام (ج٦/ ص٢١٥).

(٢) إيثار الحق على الخلق (ص٤ – ٨)مختصرا .

(٣) البدر الطالع (ص ٦٤٦).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

والعلوم لتكون نافعة لابد أن يقارنها الإيمان وأن تبنى عليه؛ حتى تثمر الرُّقِيَّ العالي والحياة الطيبة، فإن بني شيء منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير.

والعلم المذموم يفتح أبواب الجدال العقيم، و يشق طرق الضلال والعماية، ويحرم المرء من إدراك مقصود العلم النافع.

فما دل على الحق والنفع للدنيا أو الآخرة فهو العلم النافع، وما عداه علوم ضارة.. فنسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما يعلمنا.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الرابع

الفرح بالقوة

من صور الفرح المباح: الفرح بالقوة، وهو فرح يصير فرحاً محموداً أو مذموماً بحسب الدافع أو الأثر، كسائر صور الفرح المباح، ويتضح هذا بالمطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف القوة:

القوة نقيض الضعف، والجمع: قُوى وقِوى.. والقوة معناها القدرة، نحو قوله تعالى: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ ﴾ [البقرة٦٣] قال الراغب: ويستعمل ذلك:

أ- في البدن تارة: نحو قوله: ﴿ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ [فصلت:١٥]، ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ ﴾ [الكهف:٩٥] فالقوة ههنا: قوة البدن؛ بدلالة أنه رغب عن القوة الخارجة فقال: ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ ﴾ [الكهف:٩٥].

ب- وفى القلب أخرى: نحو قوله: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ ﴾ [مريم:١٢] أي: بقوة قلب، قال في اللسان: أي بجدّ وعون من الله، وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ ﴾ أي: خذها بقوة في دينك وحجتك.

جـ- وفى المعاون من خارج تارة: نحو قوله: ﴿ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً ﴾ [هود:٨٠] قيل: معناه مَن أتقوى به من الجند، وما أتقوى به من المال، ونحو قوله: ﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾ [النمل:٣٣][(١)].

(١) انظر: المفردات في ألفاظ القرآن (ص٦٩٤)، لسان العرب (ج١٢/ ص٢٢٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثاني: الفرح المحمود بالقوة:

وفرح الإنسان بالقوة التي أعطاه الله هو من الفرح المباح، وربما أُجر العبد عليه؛ لاحتسابه بما أعطاه الله من قوة في خدمة الناس، من نصرة مظلوم، وإغاثة ملهوف، ونحو ذلك.

وعندما نهى الله سبحانه المؤمنين عن الوهن والحزن، كان ذلك -والله أعلم- توجيها إلى ضدهما من التجلد والفرح بما أعطاهم الله من قوة يستخدمونها في طاعته ونصرة شريعته، قال الله تعالى للمسلمين بعد كَسرة أُحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

والوهن هو الضعف عن الجهاد؛ لما أصابهم من الهزيمة، والحزن على من قُتل منهم أو جُرح، فإن الحزن في القلوب والوهن على الأبدان زيادة مصيبة عليهم، وعون لعدوهم عليهم، فأمرهم بأن: شجعوا قلوبكم وصبِّروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم.

وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون:

- بالنصر والظفر في العاقبة، وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الصافات:١٧٣].

- أو وأنتم الأعلون شأناً؛ لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته، وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر.

- أو لأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار.

وقوله سبحانه: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني أن صحة الإيمان توجب قوة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة بأعدائه[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجِز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلتُ؛ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»[٢].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: المراد بالقوة هنا عزيمة النفس، والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف:

- أكثر إقداما على العدو في الجهاد، وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه.

- وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى.

- وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك.

قال: (وفي كلٍّ خير) معناه: في كل من القوي والضعيف خير؛ لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات[٣]ا.هـ.

فإذا فرح الإنسان بقوته التي يتمكن بها من القيام بهذه الأعمال الصالحة؛ فإن فرحه من جنس الفرح المحمود ومن جنس قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن».

(١) انظر: مدارك التنزيل (ص١٨٧)، تيسير الكريم الرحمن (ص١٤٩- ١٥٠) طبعة الرسالة.
(٢) صحيح مسلم، آخر كتاب القدر، (ح٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) شرح صحيح مسلم (ج١٦/ ص٢١٥).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثالث: الفرح المذموم بالقوة:

إن القوة إذا جرّت العبد إلى الغرور والعجب والتعالي والعدوان؛ فإن الفرح بها يدخل في حيز الفرح المذموم.. وقوم عاد أنموذج على ذلك، قال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾[فصلت:١٥-١٦].

وذكرت هاتان الآيتان الكريمتان أثر فرحهم بقوتهم، والدافع لهم على ذلك، وعلاجه لو أرادوا تزكية أنفسهم، وعاقبة فرحهم المذموم:

- فأثر فرحهم بقوتهم أنهم استكبروا فبغوا وعتوا وعصوا، فكانوا -مع كفرهم باللّه، وجحدهم بآيات اللّه، وكفرهم برسله- مستكبرين في الأرض، قاهرين لمن حولهم من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم قوتهم.

- والدافع النفسي هو الكبر وشعورهم بأنه لا أحد أقوى منهم، فمَنّوا بشدة تركيبهم وقواهم، واعتقدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله!

- وعلاج هذا الفرح المذموم بأن يتفكروا فيمن يبارزون بالعداوة؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها، وإن بطشه شديد. فرد عليهم بما يعرفه كل أحد: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾فلو لا خلقه إياهم؛ لم يوجدوا، فلو نظروا إلى هذه الحال نظرًا صحيحًا؛ لم يغتروا بقوتهم.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- وعاقبة غرورهم وكبرهم: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾ أي: شديدة قوية؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة البرد جدا، كقوله تعالى: ﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة:٦]، أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج[١].

فدافع فرحهم الكبر، وأثره الظلم، وعلاجه النظر في موجِد القوة لهم سبحانه.

فإذا أراد عبد أن يفرح بقوته؛ فإن عليه أن يتذكر نعمة الله عليه بالقوة، ثم يستعملها في طاعة الله وفي المباحات؛ شكراً لله على نعمته، وإذا غرته نفسه باستخدام قوته للمباهاة أو الظلم فليتذكر قوة الله وقدرته عليه.

ومن أمثلة التنبه لقوة الله وقدرته ما في صحيح مسلم عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاما لي بالسوط، فسمعت صوتا من خلفي، «اعلم، أبا مسعود»، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: «اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود»، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «اعلم، أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام»، قال: فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا. وفي رواية: فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله، فقال: «أما لو لم تفعل للفحتك النار»، أو «لمستك النار»[٢].

وخلاصة هذا المبحث: أن الفرح بالقوة التي هي نقيض الضعف من الفرح المباح، مالم يحتسب صاحبها بما أعطاه الله من قوة في خدمة الناس، فإن فرحه

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (ج٤/ ص٢٠٥٦)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٧١٣).
(٢) صحيح مسلم، كتاب الأيمان (ح١٦٥٩).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

من الفرح المحمود الذي يؤجر عليه العبد، ومن جنس السرور بالحسنة.. وأن الغرور بالقوة يجعل الفرح بها مذموما؛ لما يؤدي إليه من آثار سيئة كنسيان المنعم بالقوة سبحانه، والعدوان بها على الضعفاء.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الخامس

الفرح بالمال

تمهيد:

المال عصب الحياة، وقد سماه الله سبحانه وتعالى خيراً في أكثر من موطن من القرآن الكريم:

- فقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات:٨] قال ابن كثير رحمه الله: وفيه مذهبان:

أحدهما: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال.

والثاني: وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال. وكلاهما صحيح.

ومال البغوي رحمه الله إلى الثاني فقال: أي إنه من أجل حب المال لبخيل. يقال للبخيل: شديد ومتشدد(١).

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:١٨٠].

قال البغوي: ﴿ إِن تَرَكَ خَيْرًا ﴾ أي: مالاً، نظيره قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ ﴾ [البقرة:٢٧٢](٢).

- وذكر الله سبحانه وتعالى أن هذا المال زينة في الدنيا -في معرض

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٥/ ص٢٩٦)، تفسير القرآن العظيم (ج ٤/ ص٢٥٤٥).
(٢) معالم التنزيل (ج١/ ص٢١٠).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الامتنان على خلقه- فقال عز وجل: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ [آل عمران:١٤].

غير أن الفرح بالمال لا بد أن لا يتجاوز به المرء قدرَ المال وقيمته الحقيقية، ولا يقدمه على ما هو أهم منه.. وللحديث عن ذلك فهذه ثلاث مسائل مهمة متعلقة بالفرح بالمال في مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: الفرح المحمود بالمال:

يكون الفرح بالمال محموداً حين يصاحبه شكر الله على نعمته، ويترتب على الشكر صرف المال في ما يرضي الله من الواجبات والمندوبات والمباحات.

ومن أعظم أمثلته نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يدرك الفرق بينه وبين ملكة سبأ في العلاقة بالمال، فيقول الله تعالى عنه: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [النمل:٣٦].

والظاهر -كما قال ابن كثير- أن سليمان، عليه السلام، لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه، وقال منكرًا عليهم: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾ وتصانعونني به لأترككم على شرككم وملككم؟! ﴿ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ ﴾ من الملك والمال والجنود ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ أي: أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف، لأنكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها، فأما أنا فلا أفرح بها، وليست الدنيا من حاجتي، فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف[1].

(١) انظر: معالم التنزيل (ج٣/ ص٥٠٤)، تفسير القرآن العظيم (ج ٣/ ص١٧٢٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال ابن المقفع: «القسم الذي يقسم للناس ويمتعون به نحوان: فمنه حارس، ومنه محروس. فالحارس العقل، والمحروس المال.

والعقل -بإذن الله- هو الذي يحرز الحظ، ويؤنس الغربة، وينفي الفاقة، ويعرف النكرة، ويثمر المكسبة، ويطيب الثمرة، ويوجه السوقة»(١).

وقال: «الرجال أربعة: جواد، وبخيل، ومسرف، ومقتصد.

فالجواد الذي يوجه نصيب آخرته ونصيب دنياه جميعا في أمر آخرته.

والبخيل الذي لا يعطي واحدة منهما نصيبها.

والمسرف الذي يجمعهما لدنياه. والمقتصد الذي يلحق بكل واحدة منهما نصيبها.

وقال: أغنى الناس أكثرهم إحسانا»(٢).

المطلب الثاني: الفرح المذموم بالمال:

قال ابن المقفع: «وسوء حمل الغنى أن يكون عند الفرح مرِحاً. وسوء حمل الفاقة أن يكون عند الطلب شرِها. وعار الفقر أهون من عار الغنى. والحاجة مع المحبة خير من الغنى مع البِغْضَة»(٣)

الفرح بالإيمان وبالقرآن هو القيمة الأساسية التي يجب على البشرية أن تركز عليها، وتأخيرها في الأهمية عن الفرح بالمال دمار على البشرية.

(١) الأدب الصغير (ص٢٩).
(٢) الأدب الصغير (ص٦٠).
(٣) الأدب الصغير (ص٢٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

*** هدف أعداء البشرية من عُبّاد المال:**

إن «الذين يركزون على القيم المادية، وعلى الإنتاج المادي، ويُغفلون تلك القيمة الكبرى الأساسية، هم أعداء البشرية الذين لا يريدون لها أن ترتفع على مستوى الحيوان وعلى مطالب الحيوان.

وهم لا يطلقونها دعوة بريئة؛ ولكنهم يهدفون من ورائها إلى القضاء على القيم الإيمانية، وعلى العقيدة التي تُعلق قلوبَ الناس بما هو أرفع من مطالب الحيوان - دون أن تغفل ضروراتهم الأساسية - وتجعل لهم مطالب أساسية أخرى إلى جوار الطعام والمسكن والجنس التي يعيش في حدودها الحيوان!

وهذا الصياح المستمر بتضخيم القيم المادية، والإنتاج المادي، بحيث يطغى الانشغال به على حياة الناس وتفكيرهم وتصوراتهم كلها، وبحيث يتحول الناس إلى آلات تلهث وراء هذه القيمة، وتعدها قيمة الحياة الكبرى، وتنسى في عاصفة الصياح المستمر: «الإنتاج.. الإنتاج..» كلَّ القيم الروحية والأخلاقية؛ وتدوس هذه القيم كلها في سبيل الإنتاج المادي.

هذا الصياح ليس بريئاً؛ إنما هو خطة مدبرة لإقامة أصنام تُعبد بدل أصنام الجاهلية الأولى؛ وتكون لها السيادة العليا على القيم جميعاً!

وعندما يصبح الإنتاج المادي صنماً يكدح الناس حوله ويطوفون به في قداسة الأصنام؛ فإن كل القيم والاعتبارات الأخرى تداس في سبيله وتنتهك: الأخلاق، الأسرة، الأعراض، الحريات، الضمانات... كلها إذا تعارضت مع توفير الإنتاج يجب أن تداس! فماذا تكون الأرباب والأصنام إن لم تكن هي

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

هذه؟ إنه ليس من الحتم أن يكون الصنم حجراً أو خشباً، فقد يكون قيمةً واعتباراً ولافتة ولقباً!»[١].

*** أثر الفرح المذموم بالمال:**

أولاً: أثره على سلوك الإنسان وأخلاقه:

إن الذين يتجاوزون بالمال عن قدره اللائق به؛

- تصيبهم عند فقده الأزمات النفسية التي أقلها الاكتئاب واليأس، وقد تصل بهم إلى فقدان العقل، أو ربما الانتحار.

- كما أن حصولهم على المال ينفخ نفوسهم بالبطر والفخر، الذي ينتج عنه التعالي على الناس والتعدي عليهم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[هود:٩-١١].

والرحمة هنا كما قال الطبري: الرخاء والسعة في الرزق والعيش، يقول ابن جريج رحمه الله: «يا ابن آدم، إذا كانت بك نعمة من الله من السعة والأمن والعافية؛ فكفور لما بك منها، وإذا نزعت منك نبتغي قَدْعك[٢] وعقلك؛ فيئوس من رَوح الله، قنوطٌ من رحمته، كذلك المرء المنافق والكافر».

(١) انظر: في ظلال القرآن (ج٣/ ص ١٨٠٠- ١٨٠١).
(٢) قدعه، كمنعه: كفَّه. القاموس المحيط (ص٩٦٧).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وإن الإنسان لفَرِحٌ بالنعم التي يعطاها، مسرور بها، ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا، وما بسط له فيها من العيش، وينسى صُرُوفها، ونكدَها، ويدع طلب النعيم الذي يبقى، والسرور الذي يدوم فلا يزول.

ثم استثنى جل ثناؤه من الإنسان الذي وصفه بهاتين الصفتين: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾. فإنهم:

- إن تأتهم شدّة من الدنيا وعسرة فيها؛ لم يثنهم ذلك عن طاعة الله، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه.

- فإن نالوا فيها رخاء وسعةً؛ شكروه وأدَّوا حقوقه بما آتاهم منها. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[1].

ثانياً: أثره على علاقته بالله:

فمن أُعطي من الدنيا على معصيته وقسوة قلبه ونسيانه أمرَ الله؛ فإنما هو استدراج من الله له، وقد ينتظره الأخذ من الله على حين غفلة منه، والعياذ بالله.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٥].

(١) انظر: جامع البيان (ج١٠/ ص١٢- ١٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قال البغوي: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ تركوا ما وُعظوا وأمروا به ﴿ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ وهذا فتح استدراج ومكر، أي: بدلنا مكان البلاء والشدة الرخاءَ والصحة، ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ ﴾ وهذا فرح بطر مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا، ﴿ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾ فجأةً، آمَنَ ما كانوا، وأعجب ما كانت الدنيا إليهم، ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ آيسون من كل خير[1].

*** قصة قرآنية:**

هي قصة قارون وما أعطاه الله من مال، وكيف فرح به فرحا أنساه واجباته تجاه ربه سبحانه وتعالى وتجاه الناس، وهو مثال واضح للفرح المذموم بالمال.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [لقمان:٧٦].

وبغيه عليهم تجاوُزُ حده في الكبر والتجبر عليهم، قاله الطبري.

وكان في نصيحة الصالحين من قومه له تحذير من سلوكيات تجعل فرحه بالمال مذموماً، وحث على سلوكيات تضبط ذلك الفرح:

*** فمن التحذير:**

- قولهم: ﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ أي فرح بطر وأشر؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، ولا يؤدون الحقوق الواجبة عليهم في المال.

(١) معالم التنزيل (ج٢، ص ١٢٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

- وقولهم: ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ بأن تسيء إلى خلق الله، وتستعمل مالك في معصية الله بالظلم والبغي.

*** ومن الحث على السلوكيات التي تضبط الفرح بالمال:**

- قولهم: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾، أي: استعمل ما وهبك في طلب الجنةَ، بأن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفقه في رضا الله تعالى، ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح؛ فإن لربك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولزورك عليك حقا، فآتِ كل ذي حق حقه.

- وقولهم: ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ أي: أحسن بطاعة الله كما أحسن الله إليك بنعمته.. وأحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك، بأن تتصدق على الفقراء وتصل الرحم وتصرف في أبواب الخير.

- ومنه قولهم لمن تمنى مثل ما لقارون: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ فجزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون، قال ابن جرير: وما يلقى هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا، الراغبون في الدار الآخرة.

غير أن سبب بغي قارون أنه ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ أي: على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لذلك، ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره. ولهذا قال الله تعالى - رادًّا عليه فيما ادعاه -: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴾ أي: قد كان من هو أكثر

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

منه مالا وما كان ذلك عن محبة مِنَّا له، وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم.

قال سهل: ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح، والسعيد من صرف بصره عن أفعاله وأقواله وفتح له سبيل رؤية مِنَّة الله تعالى عليه في جميع الأفعال والأقوال، والشقي من زين في عينه أفعاله وأقواله وأحواله ولم يفتح له سبيل رؤية منة الله فافتخر بها وادعاها لنفسه، فشؤمه يهلكه يوماً كما خسف بقارون لما ادّعى لنفسه فضلاً[1].

ففرح قارون كان شؤما عليه، حيث أعمى بصيرته عن الحق، وتركه سادرا في غيه حتى أتاه عذاب الله وهو على ذلك، ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨١-٨٣].

وهكذا كان فرحه بماله سببا في هلاكه وشقائه، وصار عبرة لمن أراد أن يعتبر من الناس، حتى يعطوا المال قدره اللائق به في الحياة، من دون أن يتحول المال إلى معبود لهم يعيشون له ويحبون ويبغضون من أجله، وفي هؤلاء يروي أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ

(١) انظر: تفسير الطبري (ج١٩/ ص٦١٦) ط. مجمع الملك فهد، معالم التنزيل (ج٣/ ص٥٤٣)، مدارك الترتيل (ص٨٧٩)، تفسير ابن كثير (ج٦/ ص٢٥٣- ٢٥٥) طبعة دار طيبة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ.

طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»[١].

و«عبد الدينار هو طالبه الحريص على جمعه، القائم على حفظه، فكأنه لذلك خادمه وعبده.

قال الطيبي: قيل خصّ العبد بالذكر ليؤْذِن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها، كالأسير الذي لا يجد خلاصا...

فمن كان عبداً لهواه لم يصدق في حقه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فلا يكون من اتصف بذلك صِدّيقا[٢].

فعلى العبد أن يقارن بين قيم الأشياء وبين المال؛ ليعطيه حجمه الذي يستحقه في الحياة، ورحم الله الداعية الحكيم الشيخ مصطفى السباعي حين قال:

- من كان ماله آثر عنده من حياته؛ فهو أحمق.
- ومن كان ماله آثر عنده من كرامته وسمعته؛ فهو حقير.
- ومن كان ماله آثر عنده من أمته وبلاده؛ فهو مجرم.
- و من كان ماله آثر عنده من عقيدته؛ فهو من المؤلفة قلوبهم[٣].

(١) صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير. (ح٢٨٨٧).
(٢) انظر: فتح الباري (ج١١/ ص ٢٥٤).
(٣) هكذا علمتني الحياة. الدكتور مصطفى السباعي (ص٢٩٤).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثالث: ضابط الفرح بالمال:

إن الأرزاق المادية، والقيم المادية، ليست هي التي تحدد مكان الناس في هذه الأرض - في الحياة الدنيا - فضلاً عن مكانهم في الحياة الأخرى، وإنها يمكن أن تصبح من أسباب شقوة البشرية - لا في الآخرة المؤجلة ولكن في هذه الحياة الواقعة - كما نشهد اليوم في حضارة المادة الكالحة![1]

«إن المنهج الذي يحكم حياة مجموعة من البشر هو الذي يحدد قيمة الأرزاق المادية في حياتهم، ويجعلها عنصر سعادة أو عنصر شقاء، كما يجعلها سبباً للرقي الإنساني أو مزلقاً للارتكاس!

إن النقلة الأساسية التي تتمثل في هذا الدين هي إعتاق رقاب العباد من العبودية للعباد؛ وتحريرهم من هذه العبودية، وتعبيدهم لله وحده، وإقامة حياتهم كلها على أساس هذا الانطلاق الذي يرفع تصوراتهم، ويرفع قيمهم، ويرفع أخلاقهم، ويرفع حياتهم كلها من العبودية إلى الحرية.

ثم تجيء الأرزاق المادية والتيسيرات المادية، والتمكين المادي، تبعاً لهذا التحرر وهذا الانطلاق. كما حدث في تاريخ العصبة المسلمة، وهي تكتسح الجاهليات حولها، وتهيمن على مقاليد السلطان في الأرض، وتقود البشرية إلى الله، لتستمتع معها بفضل الله»[2].

ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى إذا بشر عباده بالرزق ذكّرهم بأنه أحد دلائل قدرته على البعث، فيربطهم بالدار الآخرة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ

(١) في ظلال القرآن (ج٣/ ص١٨٠٠).
(٢) انظر السابق.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

﴿ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٥٧].

ويقول عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [الفرقان:٤٧-٥٠].

قال السباعي رحمه الله تعالى وهو يذكر ميزان التعامل مع المال:

- من استعان بماله على حفظ كرامته فهو عاقل.

- ومن استعان به على تكثير أصدقائه فهو حكيم.

- ومن استعان به على طاعة الله فهو محسن ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[(١)].

ورحم الله معاوية بن أبي سفيان فقد أُثر عنه أنه كان يلبس لكل حلة لبوسها: لا تبطره النعمة، ولا تحزنه النقمة، لا يغتم لحوادث لم تحدث، ولا يضيق ذرعا بما حدث، قال:

قدعشت في الدهر ألواناعلى خلق ... شتى وقاسيت فيه اللين والطبَعا

كُلًّا لبستُ فلا النعماء تبطرني ... ولا تعودت من مكروهها جشعا

لا يملأ الأمر صدري قبل مصدره ... ولا أضيق بـــــه ذرعاً إذا وقعا[(٢)]

(١) هكذا علمتني الحياة (ص ٥٦).

(٢) الشخصية (ص ١٠٢ - ١٠٣).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فنخلص من هذا المبحث: إلى أن الفرح بالمال هو من الفرح المباح، وقد سماه الله في القرآن خيرا، وزينة - في معرض الامتنان على خلقه - غير أن الفرح بالمال لا بد أن لا يتجاوز به المرء قدرَ المال وقيمته الحقيقية، ولا يقدمه على ما هو أهم منه، أعني الفرح بالإيمان وبالقرآن الذي هو القيمة الأساسية، وتأخيرها في الأهمية عن الفرح بالمال دمار على البشرية.

ونخلص من هذا الفصل إلى أن الفرح المباح يصير محمودا بالنية الحسنة والأثر الطيب، ويصير مذموما بالدافع السيئ والأثر السيئ.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الخاتمة

وتشتمل على:

أولاً: خلاصة الدراسة:

توصلت هذه الدراسة إلى:

١- أن الدافع: قوة داخلية تثير السلوك تحريكا وتوجيها إلى غاية أو هدف يرضيه.

٢- أن الفرح المحمود: هو ما كان فرحاً مطلوبا شرعا، لما فيه من رضا الله سبحانه وتعالى ونفع الناس.

٣- أن للفرح المحمود صورا، منها الفرح بالإيمان، والفرح بالقرآن، والفرح للإحساس بمعية الله سبحانه وتعالى، والفرح بما يناله أخوك من الخير.

٤- أن الفرح المذموم شرعاً مبناه وقاعدته: الفرح بمخالفة أمر الله عز وجل.. وأن الدافع عليه هو الغفلة عن الآخرة، وعدم التفكر في لقاء الله عز وجل وإيثار الدنيا عليها، مما يُفقد الإنسان المعنى الحقيقي للحياة.

٥- أن للفرح المذموم صوراً، منها الفرح بالكفر، ومنها: الفرح بالنفاق: وأن القرآن الكريم والسنة النبوية قد بينا مخاطر النفاق، وصفات المنافق؛ للتحذير من مكر المنافقين، ومن الاتصاف بصفاتهم.

٦- وأن الفرح بمصائب المسلمين صفة مشتركة بين الكفار المشركين، خاصة منهم أهل الكتاب، وبين المنافقين.. و الدافع لهم على ذلك هو شدة

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

عداوتهم وبغضهم للمسلمين، مع حسدهم على نعم الله الدينية والدنيوية التي حباهم الله بها.

٧- أن الفرح بمعصية الله قبيح ومذموم، ولا يصدر من إنسان ينتسب إلى الإسلام إلا بأحد دافعَين: إما النفاق، وإما الكبر، وكلاهما داء مهلك، ومسقط للعبد من نظر الله سبحانه وتعالى.

٨- أن من الفرح فرحاً لا يمكن أن نذمه مطلقا، ولا أن نمدحه مطلقاً، وإنما هو من الفرح الذي جُبل عليه الإنسان حين ينال نعمةً، أو حين تندفع عنه نقمة.. وهو فرح مباح ولا شك، غير أنه قد يتعلق بمحبوب لله فيصير فرحا محمودا، وقد يتعلق بما يبغضه الله فيصير فرحا مذموما.

٩- أن أساس الفرح المباح هو الفرح بالدنيا، فهو يصير مذموما إذا كان ينسي الآخرة، أو كان فرحا مشوبا بأشر وبطر.. ويكون ممدوحا إذا لم يحزن الإنسان على ما يفوته منها حزنا يوصله للجزع، ولم يفرح بما يناله منها فرحا يقوده للبطر، بل يكون حزنه مع الصبر، وفرحه مع الشكر.

١٠- أن من صور الفرح المباح: الفرح بتفريج الهم وقضاء الحوائج وتيسير الأمور. والفرح بالعلم النافع، ومنها الفرح بالقوة البدنية، ومنها الفرح بالمال.

ثانيا: التوصيات:

في ضوء ما توصلت إليها هذه الدراسة، يوصي الباحث بما يلي:

١- قراءة القرآن بالتدبر لمعانيه؛ ليعرف المسلم من خلاله الأمور التي تستحق أن يفرح بها الإنسان، والأمور التي لا تستحق ذلك، وليعرف في أنواع الفرح المحمود والمذموم والمباح.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- الحرص على إيصال الخير للناس؛ لينال الأجر بذلك، ولتتعود نفسه على الفرح بما يحصلون عليه من الخير، وبالتالي تتخلص نفسه من داء الحسد.

٣- التفكر في الآخرة، وعدم نسيانها؛ حتى لا يقع المسلم في الفرح المذموم.

٤- تحويل كل فرح مباح إلى فرح محمود بتصحيح النية والقصد، وإرادة وجه الله.

٥- العناية بالعلوم النافعة في مختلف التخصصات التي تحتاجها الأمة، ودفع الأبناء إلى مواصلة طلب العلم، مع تذكيرهم بالهدف منه: وهو الرقي بالمجتمع، وحصول الاكتفاء الذاتي،للأمة وتحقيق رضا الله.

٦- العناية بالقوة البدنية لكل أفراد المجتمع المسلم، من خلال التغذية السليمة، والرياضة المناسبة، ومداواة المريض، والوقاية من الأمراض المعدية، وكل وسائل التلوث.

٧- الاهتمام بتهذيب أخلاق الشباب، وتذكيرهم بنعمة القوة من الله؛ حتى لا يستخدموها في معصية الله.

٨- السعي في كسب المال الحلال، و تعليم الناس أن المال إنما هو لنفع الناس لا للتباهي به، ولا لصرفه فيما يضر أو فيما لا ينفع.

ثالثاً: المقترحات:

١- التوجه إلى دراسة القرآن الكريم دراسة متأنية؛ لاستخراج كل ما يعالج النفوس ويشخصها؛ لأن القرآن الكريم كلام الله الذي خلق البشر وهو أعلم بهم، وهو القائل سبحانه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢- إعداد دراسة تجمع كلام المفسرين في موضوعات علم النفس التي تناولتها الآيات القرآنية؛ ليخرج الباحثون بصورة أشمل وأدق لمعرفة مراد الله سبحانه وتعالى.

٣- التركيز في معالجة القضايا النفسية على القرآن أولاً، مع عدم إغفال ما وصل إليه العلم الحديث من نتائج، ما دامت غير مصطدمة بآيات القرآن؛ لأن ما وصل إليه البشر اجتهاد، وما جاء في القرآن الكريم مقطوع به.

٤- القيام بدراسة متوسعة ودقيقة لموضوعات: الفرح والحزن، والرضا والسخط، والغضب والحلم، وغيرها من قضايا النفس، بالنظر في واقع الناس، والظروف التي تؤثر في سلوكهم، وفي دوافعهم؛ ليكون العلاج لقضاياهم النفسية والتربوية ناجعا.

٥- دراسة سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وسيرته العطرة، وسيرة أصحابه الذين يمثلون التطبيق العملي السليم لهذا الدين العظيم؛ وذلك من أجل الاستفادة والاستعانة على تحقيق الفهم السليم لكلام الله تعالى فيما يتعلق بعلم النفس؛ ذلك أن كل ما قاله الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو فعله فهو مما فهمه من القرآن الكريم.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع الأخرى:

١- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي (تـ٥٤٣هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط الثالثة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢- أدب الدنيا والدين، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي (تـ ٤٥٠هـ)، حققه: ياسين محمد السوّاس، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣- الأدب الصغير. ابن المقفع ت. الأستاذ أحمد زكي باشا. جمعية العروة الوثقى الخيرية الإسلامية ١٣٢٩هـ ١٩١١م.

٤- أساس البلاغة، للإمام العلامة جارالله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (تـ٥٣٨هـ) دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

٥- أساليب البحث العلمي. منظور تطبيقي. د. فايز النجار وآخرون، دار الحامد للنشر والتوزيع،ط ٢٠٠٨م.

٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (تـ ٤٦٣) دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ بهامش كتاب الإصابة.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٧- أسنى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للدكتور علي محمد الصلابي، دار الفجر للتراث - القاهرة ط الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٨- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (تـ ٨٥٢هـ) دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٣٢٨هـ.

٩- أصول السنة للحافظ أبي بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى الأسدي الحميدي (تـ ٢١٩هـ) تحقيق الدكتور عبد الله بن سليمان العقيلي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٠- أصول علم النفس. د/ أحمد عزت راجح (تـ١٩٨٠م). دار المعارف ط. الحادية عشرة ١٩٩٩م.

١١- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، تأليف خير الدين الزركلي (تـ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة مايو٢٠٠٢م.

١٢- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (تـ١٣٧٧هـ) تحقيق أحمد علي مدخلي، مكتبة الرشد ناشرون الطبعة السادسة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٣- الأغاني. لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (تـ٣٥٦هـ)، تحقيق إحسان عباس وآخرَين. دار صادر. بيروت. ط. الثالثة ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

١٤- الإفصاح عن معاني الصحاح. الإمام يحيى بن هُبَيْرَة الذهلي الشيبانيّ، (تـ٥٦٠هـ). تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد. دار الوطن. ١٤١٧هـ.

١٥- الإكليل في استنباط التنزيل، تأليف الإمام جلال الدين السيوطي

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

(تـ٩١١هـ)، تحقيق عادل شوشة، راجعه الشيخ مصطفى العدوي، مكتبة فياض، المنصورة مصر ط الأولى ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

١٦- إيثار الحق على الخلق، في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، تأليف أبي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المعروف بابن الوزير (تـ٨٤٠هـ)، دار الكتب العلمية، ١٣١٨هـ.

١٧- الإيمان الأوسط تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (تـ٧٢٨هـ) تحقيق أبي يحيى محمود أبو سن، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٨- الإيمان بالخالق والعلم. اقتباسات موثقة لمشاهير العلماء في العصر الحديث تأليف جوردن ليدنر. ترجمة مركز دلائل. الرياض. ط. الأولى ١٤٣٨هـ.

١٩- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف الإمام محمد بن علي الشوكاني (تـ١٢٥٠هـ)، تحقيق محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٢٠- بريق الجمان بشرح أركان الإيمان، تأليف الدكتور محمد محمدي النورستاني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

٢١- البيان والتبين، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (تـ:٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة ابن سيناء، القاهرة، ط الأولى ٢٠١٠م.

٢٢- التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف الحافظ محمد بن أحمد بن جُزيّ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الكلبي الغرناطي، المكتبة العصرية بيروت، تحقيق رضا فرج الهمامي، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٢٣- التصاريف، تفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه. تأليف يحيى بن سلام البصري ثم المغربي (تـ ٢٠٠هـ)، تحقيق/ هند شلبي. ط: الشركة التونسية للتوزيع ١٣٩٨هـ.

٢٤- كتاب التعريفات. للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني (تـ٨١٦هـ). تـحقيق الدكتور محمد عبد الرحمن المرعشلي. دار النفائس بيروت. ط: الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٥- تفسير ابن أبى حاتم للإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتَوَفَّى سنة ٣٢٧ هجرية. المكتبة العصرية - صيدا،تحقيق: أسعد محمد الطيب.

٢٦- تفسير التحرير والتنوير، تاليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور تـ ١٣٩٣هـ، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٢٧- تفسير الجلالين، للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (تـ ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي (تـ ٩١١هـ) دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٢٨- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [تـ ٧٧٤ هـ] وزارة الأوقاف القطرية، الناشر: مؤسسة الريان للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

٢٩- تقريب التهذيب الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (تـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٨٥٢هـ) اعتنى به حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، عمّان ٢٠٠٥م.

٣٠- التكفير وضوابطه، تأليف إبراهيم بن عامر الرحيلي، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت الطبعة السادسة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٣١- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي المعروف بمسكويه (تـ٤٢١هـ). تحقيق د. نواف الجراح. دار صادر. بيروت. ط. الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٣٢- تهذيب التهذيب الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (تـ ٨٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٣٣- التيسير بشرح الجامع الصغير، تأليف/ الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي (تـ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م،الطبعة الثالثة.

٣٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي [تـ ١٣٧٦هـ] تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، ط الأولى ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م.. وأحيانا أرجع لطبعة جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.. وأحيانا لطبعة الرسالة وأبين هذه في الغالب.

٣٥- جامع البيان في تأويل آي القرآن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (تـ:٣١٠هـ)، ضبط وتعليق: محمود شاكر، تصحيح علي عاشور،دار إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ٢٠٠١م. وإذا رجعت إلى غيرها بينته.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٣٦- جامع البيان في تفسير القرآن، للعلامة السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسيني الإيجي الشافعي، (تـ٨٩٤هـ)، راجعه صلاح الدين مقبول أحمد، شركة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٧- جامع الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (تـ ٢٧٩هـ) ط، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض ط.١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣٨- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (تـ٢٥٦هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.

٣٩- الجامع في متون العقيدة والتوحيد، المكتبة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٤٠- الجامع لأحكام القرآن، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (تـ٦٧١هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٢٦هـ،٢٠٠٥م، تحقيق عبد الرزاق المهدي.

٤١- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تأليف: السيد أحمد الهاشمي (تـ١٩٤٣هـ)، اعتنى به وراجعه: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ.

٤٢- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف السيد أحمد الهاشمي، تحقيق وشرح الدكتور محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت،

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٤٣- حاشية مسند الإمام أحمد، لأبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السِّندي (تـ١١٣٨هـ)، تحقيق نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

٤٤- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري (تـ بعد ٩٢٣) اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية،حلب الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٤٥- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. الإمام: أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي (تـ٤٥٨هـ). تحقيق: عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية بيروت. ط: الأولى. ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٤٦- الدوافع النفسية. د/ مصطفى فهمي. مكتبة مصر ط/ الرابعة ديسمبر ١٩٦٠م.

٤٧- سنن أبي داود، تصنيف الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (تـ٢٧٥هـ) علق عليه وحكم على أحاديثه الألباني، اعتنى به مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.١٤٢٤هـ.

٤٨- سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن بن عيسى بن سورة الترمذي (تـ٢٧٩هـ)، حكم على أحاديثه وعلق عليه الألباني، اعتنى به مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م.

٤٩- سنن النسائي، تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب النسائي الحافظ (تـ ٣٠٣هـ)، حكم على أحاديثه وعلق عليه الألباني، اعتنى

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

به مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٩هـ،٢٠٠٨م.

٥٠- السيرة النبوية. الإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام الحميري (تـ٢١٨هـ). تحقيق وشرح مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي. دار ابن كثير. دمشق. ط. الثالثة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٥١- الشخصية، لمحمد عطية الأبراشي، طبع دار المعارف بمصر، الطبعة الخامسة ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م.

٥٢- الشخصية، أنواعها، أمراضها، وفن التعامل معها، د/ سعد رياض، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٥٣- الشخصية السيكوباتية، إعداد الأستاذة / أ. علي راجح بركات، إلى قسم علم النفس في جامعة أم القرى ضمن برنامج الدكتوراه.

٥٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي (تـ٤١٨هـ) تحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٥٥- شرح العقيدة الطحاوية، تأليف الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي (تـ ٧٩٢هـ) تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط والدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٥٦- الشعر والشعراء. عبد الله بن محمد بن قتيبة الدِّينَوَري (تـ٢٧٦هـ). تحقيق أحمد شاكر. دار الحديث القاهرة. ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

٥٧- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

الجوهري، تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥٨- صحيح ابن خزيمة المسمى: المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، تأليف إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السُلمي النيسابوري، (تـ٣١١هـ)، عُني به الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، مكتبة الأعظمي الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٥٩- صحيح الأدب المفرد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري (تـ ٢٥٦هـ) تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة الريان بيروت، الطبعة السابعة ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٦٠- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٦١- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري،(تـ ٢٦١هـ)،دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٦٢- طريق الهجرتين وباب السعادتين، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، (تـ٧٥١هـ)، تحقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة الشؤون الدينية - دولة قطر.

٦٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٦٤- فتح الباري (٦/ ٤٧٢)الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٨٥٢هـ، ط: دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ، مصورة عن الطبعة السلفية.

٦٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير تأليف عبد الرؤوف المناوي الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة الأولى، ١٣٥٦.

٦٦- في ظلال القرآن. سيد قطب [تـ١٩٦٦م] دار الشروق، الطبعة الشرعية العاشرة ١٤٠٢هـ،١٩٨٢م.

٦٧- القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي تـ٨١٧هـ. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ،١٩٩٣م.

٦٨- كتاب الإيمان، تصنيف الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (تـ ٢٣٥هـ) تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي،بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. للإمام محمود بن عمر الزمخشري (تـ٥٢٨هـ) مطبعة الاستقامة بالقاهرة. اعتنى به وبحواشيه مصطفى حسين أحمد.

٧٠- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (تـ١٠٩٤هـ). اعتنى به: د/ عدنان درويش و محمد المصري. مؤسس الرسالة ناشرون.

٧١- لباب النقول في أسباب النزول، للحافظ وجلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي (تـ ٩١١هـ) دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، بهامش تفسير الجلالين.

٧٢- لسان العرب. جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (تـ٧١١هـ).

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

دار صادر. بيروت. ط. السادسة ٢٠٠٨م.

٧٣- لسان الميزان للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (تـ٨٥٢هـ)- الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٧٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي تـ٨٠٧هـ، مع تحقيقه: بغية الرائد، عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٧٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (تـ٥٤١هـ)، تحقيق وتعليق الرحالة الفاروق وعبد الله الأنصاري وآخرَين، طبع وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٧٦- مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الحنفي (تـ بعد ٦٦٠هـ) اعتنى به: نجوى أنيس ضو، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م.

٧٧- مختصر الفوائد في أحكام المقاصد، المعروف بالقواعد الصغرى، تأليف سلطان العلماء أبي محمد عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي (تـ٦٦٠هـ) تحقيق الدكتور صالح بن عبد العزيز آل منصور، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ١٩٩٧م.

٧٨- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (تـ ٧١٠هـ)،اعتنى به عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٧٩- مرقاة المفاتيح للعلامة علي بن سلطان القاري (تـ١٠١٤هـ) شرح مشكاة المصابيح، تحقيق الشيخ جمال عيتاني، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨٠- المستدرك على الصحيحين للامام الحافظ أبى عبد الله الحاكم النيسابوري (تـ٤٠٥هـ)، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي (تـ٧٤٨هـ) رحمهما الله، بإشراف د. يوسف عبد الرحمن المرعشلى، دار المعرفة بيروت - لبنان (مصورة عن الهندية).

٨١- مسند الإمام أحمد ابن حنبل (تـ٢٤١هـ) المطبعة الميمنية، مصر، ١٣١٣هـ.

٨٢- مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٨٣- المصباح المنير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري (تـ٧٧٠هـ)، المكتبة العصرية. اعتنى بها / يوسف الشيخ محمد. ط. الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٨٤- معالم التنزيل. الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (تـ٥١٦هـ). دار إحياء التراث العربي. تـ/ عبد الرزاق المهدي ط الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

٨٥- معجم التعريفات للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (تـ٨١٦هـ)، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة (د.ت).

٨٦- المعجم الوسيط. إبراهيم أنيس وآخرون. مجمع اللغة العربية. طبع

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المكتبة الإسلامية استانبول. ط الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٨٧- مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد (تـ٥٠٢هـ)، تحقيق/ صفوان داوودي. دار القلم دمشق ط:الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٨٨- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تأليف أبي العبَّاس أحمَد بن عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ، الأنصاريُّ القرطبيُّ،شيخ القرطبي صاحب التفسير (تـ ٦٥٦هـ)، تحقيق محيي الدين مستو ويوسف علي بديوي وآخرين، دار ابن كثير دمشق، ط. الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٨٩- المنثور في القواعد، تأليف بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي (تـ٧٩٤هـ) تحقيق الدكتور تيسير فائق، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٩٠- المنجد في اللغة والأعلام،دار المشرق بيروت، الطبعة التاسعة والثلاثون ٢٠٠٢م.

٩١- منهاج العابدين، الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (تـ٥٠٥هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٣٧هـ.

٩٢- المنهاج، في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي (تـ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: د/ محمد عبد الرحمن مرعشلي، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، والإحالة موافقة للمطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ، ١٩٢٩م.

٩٣- موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا أبي بكر عبد الله بن محمد القرشي (تـ

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

٢٨١هـ) المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

٩٤- الموسوعة الشعرية للكاتب والأديب والواعظ والخطيب، جمعها: بدر بن عبد الله بن عبد الكريم الناصر، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٩٥- النشر في القراءات العشر للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الجزري (تـ٨٣٣هـ)، دار الكتاب العربي، إشراف الشيخ/ علي الضباع.

٩٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام ابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (تـ٦٠٦هـ)، تحقيق محمد محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي ١٣٨٣هـ،١٩٦٣م.

٩٧- هكذا علمتني الحياة. الدكتور مصطفى السباعي (تـ١٩٦٤م). دار الوراق ودار النبراس للطباعة والنشر. الرياض. ط. الثانية ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٩٨- ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ قراءة في الاستراتيجية الغربية لحرب الإسلام بعد الحادي عشر من سبتمر ٢٠٠١م. تأليف الدكتور محمد يسري إبراهيم، دار اليسر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة
الإهداء	٥
كلمة شكر	٧
الفصل التمهيدي	**٩**
الفصل الأول: الفرح المحمود	**٢١**
المبحث الأول: الفرح بالإيمان والتقوى	**٢٣**
المطلب الأول: تعريف الإيمان وتعريف التقوى	٢٣
المطلب الثاني: سبب الفرح بالإيمان والتقوى	٢٤
المبحث الثاني: الفرح بالقرآن	**٣٥**
المطلب الأول: الأصل في الفرح بالقرآن:	٣٥
المطلب الثاني: من المخاطب بقوله تعالى: ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾؟	٣٩
المطلب الثالث: دوافع الفرح بالقرآن الكريم	٤٠
المبحث الثالث: الفرح بالولد الصالح	**٥٣**
المطلب الأول: أنموذج نبوي في الفرح بالولد الصالح	٥٣
المطلب الثاني: دعوة عباد الرحمن بالولد الصالح	٥٥
المبحث الرابع: الفرح بمعية الله سبحانه وتعالى، وبنصره، وبهلاك الظالمين	**٥٧**
المطلب الأول: الفرح بمعية الله سبحانه وتعالى	٥٧

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المطلب الثاني: الفرح بالنصر على الأعداء ٦٦
المطلب الثالث: الفرح بهلاك الظالمين ٧٠
المبحث الخامس: فرح المؤمن بما ينال غيره من الخير ٧٥
المطلب الأول: الحزن على الضالين من الناس ٧٥
المطلب الثاني:الفرح بهداية الناس ونفعهم ٧٨
المطلب الثالث: استبشار الشهداء بإخوانهم السائرين على نهجهم .. ٨٢
الفصل الثاني: الفرح المذموم..... ٨٥
المبحث الأول: حقيقة الفرح المذموم والدافع عليه ٨٥
المطلب الأول: حقيقة الفرح المذموم ٨٥
المطلب الثاني: الدافع على الفرح المذموم ٨٦
المبحث الثاني: الفرح بالكفر -عياذاً بالله- ٩٣
المطلب الأول: تعريف الكفر..... ٩٣
المطلب الثاني: الدافع على الفرح بالكفر ٩٣
المطلب الثالث: من آثار الفرح بالكفر ٩٥
المبحث الثالث: الفرح بالنفاق ١٠٣
المطلب الأول: تعريف النفاق ١٠٣
المطلب الثاني: من صور الفرح بالنفاق ١٠٣
المطلب الثالث: من آثار الفرح بالنفاق..... ١٠٥
المطلب الرابع: سمات المنافق عند علماء النفس ١٠٩

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الرابع: الفرح بالمعصية ١١٣
المطلب الأول: أثر المعصية على نفس المؤمن ١١٣
المطلب الثاني: الفرح بالمعصية بدافع النفاق ١١٥
المطلب الثالث: الفرح بالمعصية بدافع الكبر ١٢١
الفصل الثالث: الفرح المباح ١٢٧
المبحث الأول: الفرح بالدنيا ١٢٧
المطلب الأول: ضابطذم الفرح بالدنيا ١٢٨
المطلب الثاني: ضابط جواز الفرح بالدنيا..... ١٣١
المبحث الثاني: الفرح بتفريج الهم وقضاء الحوائج ١٣٧
المطلب الأول: فرح يعقوب بعودة يوسف عليهما السلام..... ١٣٧
المطلب الثاني: فرح أم موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم
بعودته إليها..... ١٣٨
المطلب الثالث: الفرح بالولد..... ١٤٣
المبحث الثالث: الفرح بالعلم ١٤٩
المطلب الأول: الفرح المحمود بالعلم ١٤٩
المطلب الثاني: الفرح المذموم بالعلم ١٥١
المبحث الرابع: الفرح بالقوة ١٧١
المطلب الأول: تعريف القوة ١٧١
المطلب الثاني: الفرح المحمود بالقوة..... ١٧٢
المطلب الثالث: الفرح المذموم بالقوة ١٧٤

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

المبحث الخامس: الفرح بالمال ١٧٧
المطلب الأول: الفرح المحمود بالمال ١٧٨
المطلب الثاني: الفرح المذموم بالمال ١٧٩
المطلب الثالث: ضابط الفرح بالمال ١٨٧
الخاتمة ١٩١
قائمة المصادر والمراجع ١٩٥
فهرس الموضوعات..... ٢٠٩

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.Quranonlinelibrary.com

هذا الكتاب

من الانفعالات النفسية التي لا تفارق الإنسان، إما أن يعيشها وإما أن يسعى إلى أن يعيشها: الفرح، وهي من الأهمية بمكان؛ حيث إن الفرح لا يوجد إلا بمتغيرات مؤثرة، وهذه المتغيرات تختلف من شخص لآخر.

وقد اخترت هذا الموضوع؛ لأني رأيت الناس جميعا يسعون إلى تحقيق السعادة والفرح والسرور، ويفرون من الهم والحزن والتعاسة.

ولأن الحياة ستكون أكثر ملاءمة وهدوءاً وسعادة إذا أعطى الإنسان للأشياء التي يفرح بوجودها ويحزن على فقدها حجمَها المناسبَ؛ فإن كثيرا مما يظن بعض الناس أن الفرح يتحقق بالحصول عليه؛ يعيش بدونه أناس آخرون وهم سعداء.

كما أن التوازن في هذا الموضوع يُكسب المجتمع آثاراً إيجابية يولدها الفرح المحمود، ويخلصه من الآثار السلبية التي يفرزها الفرح المذموم.

وتكمن أهمية الموضوع من حيث إنه يدرس ظاهرة نفسية من خلال الآيات التي تناولت هذه الظاهرة، ويستند إليها استناداً كليًا؛ لأنها كلام الحق سبحانه وتعالى خالق هذه النفوس، ودراسة هذا الموضوع -من خلال الآيات القرآنية- سيساعد في تجاوز الكثير من العوائق والصعوبات التي تواجهها الدراسات النفسية والاجتماعية.

فاقتصرت الدراسة على استقراء الآيات القرآنية التي تتحدث عن الفرح والكلمات المرادفة أو المكافئة له، وما يفسرها من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن كتب التفسير، وكتب علم النفس.

9 789921 770889

سلسلة رسائل علميّة

نضيء الفكرة

daradahriah@gmail.com daradahriah.com daradahriah

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية